الجلد الثاني من فتوح الشام ١٥ شح

R

وقف مولانا المقام الشريف الملك الأشرف أبو النصر قايتباي نصره الله تعالى نصرًا عزيزًا هذا الجزء الثاني
من فتوح الشام وقفًا صحيحًا شرعيًا على طلبة العلم الشريف ليستفيدوا به [illegible] الرجوع وليشهد على نفسه
الشريفة بذلك في اليوم المبارك السابع والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة خمس وثمانين وثمانمائة

شهد على مولانا المقام الشريف
عبد الرزاق [illegible] البقلي

على مولانا المقام الشريف الملك
[illegible] محمد [illegible]



الحمد لله شهد عليه مولانا المقام الشريف الملك الأشرف الواقف المسمى باطنه الشريف [illegible] أنه جعل [illegible] هذا الجزء الثاني والذي قبله
من فتوح الشام [illegible] وله الأجر [illegible] المذكور [illegible] ذي الحجة الحرام سنة خمس وثمانين وثمانمائة

شهد على المقام الشريف [illegible]
[illegible]

على مولانا المقام الشريف [illegible]
[illegible]

على المقام الشريف [illegible]
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

من أبي عبيدة عامر بن الجراح إلى أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو
وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير
المؤمنين أننا نازلون على ايليا ونحن كل يوم نقاتل أهلها
ولقد لقي المسلمون مشقة عظيمة من البرد والأمطار إلا أنهم
صابرون على ذلك يرجون رحمة الله فلما كان يوم كتبت
إليك أشرف علينا بطريقهم وأخبرنا بأن هذا البلد
لا يفتحها إلا صاحب أمرنا وأنه يعرفه بصفته وقد سألنا
حقن الدماء وأنك تسير إلينا وتنجدنا بنفسك يا أمير المؤمنين
فلعل الله عز وجل أن يفتح هذه البلدة على يديك والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته وعلى جميع المسلمين ثم قال
أبو عبيدة أيها الناس أيكم ينطلق بكتابي هذا إلى
أمير المؤمنين وأجره على الله فأسرع بالإجابة ميسرة بن مسروق
العبسي وقال أيها الأمير أنا أكون الرسول وأرجع مع





امير

أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى فأخذ ميسرة الكتاب واستوى على ناقته
ولم يزل يجد المسير حتى أتى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخله ليلا وقال لا دخلت على أحد حتى يصبح الصباح فلما دخلت
المدينة عقلت ناقتي ودخلت المسجد فصليت فيه ركعتين
وسلمت على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قبر أبي بكر
الصديق ونمت فلم أستيقظ إلا بأذان عمر بن الخطاب فلما فرغ
من أذانه ودخل المسجد وهو يقول الصلاة يرحمكم الله
قال ميسرة بن مسروق فقمت توضأت وصليت خلف
عمر رضي الله عنه صلاة الصبح فلما انحرف من صلاته قمت إليه
وسلمت عليه فلما نظر إلي صافحني وعرفني وقال ميسرة
ورب الكعبة ثم قال ما وراك قلت الخير والسلامة يا أمير
المؤمنين ثم ناولته كتاب أبي عبيدة فقبله وقرأه على المسلمين
فاستبشروا وقال أيها الناس ما ترون رحمكم الله فيما
كتب إلينا أمين الأمة أبو عبيدة فكان أول من تكلم عثمان ن
ابن عفان رضي الله عنه وقال يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل

قد أذل الروم وأخرجهم من الشام ونصر المسلمين عليهم وإن أصحابنا
قد حاصروا إيليا وصعب أمرهم عليهم وهم في كل يوم
يزدادون حزنا فإن أنت أقمت ولم تسر إليهم رأوا أنك
مستخف بهم فلا يلبثون إلا يسيرا فلما سمع عمر ذلك من عثمان
ابن عفان جزاه خيرا وقال هل عندكم رأي غير هذا فقال
علي رضي الله عنه عندي رأي غير هذا وأنا أبديه لك
قال وما هو يا أبا الحسن قال إن القوم قد سألوك وفي
سؤالهم ذلك وهو على المسلمين فتح وقد أصاب المسلمين
جهد من البرد والقتال وطول المقام وإني أرى أنك إن
سرت إليهم فتح الله تلك المدينة ولك في سيرك الأجر العظيم
في ظمإ ومخمصة وفي قطع كل واد وصعود كل جبل لأن هذا البيت
المقدس معظم عند أهل دين الصليب وإليه يحجون والصواب
أن تسير إليهم ففرح عمر بمشورة علي بن أبي طالب رضي الله عنه
وقال لقد أحسن عثمان بالمكيدة للعدو وأحسن علي بالنظر
للمسلمين جزاهم الله خيرا ولست آخذ إلا بمشورة علي فما

فما عرفناه إلا محمود المشورة ميمون الطلعة ثم إن عمر
رضي الله عنه أمر الناس بأهبتهم للمسير معه وتأهبوا
فأسرع المسلمون إلى ذلك فأتى عمر المسجد فصلى فيه
أربع ركعات ثم قام إلى قبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم واستخلف على المدينة علي ابن أبي طالب كرم الله
وجهه وخرج عمر ابن الخطاب من المدينة وأهلها
يشيعونه ويودعونه وهو راكب على بعير أحمر
عليه غرارتان في إحداهما سويق والأخرى تمر
وبين يديه قربة من ماء وخلفه جفنة للزاد وخرج
معه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم كانوا قد
شهدوا اليرموك ثم عادوا إلى المدينة منهم الزبير
ابن العوام وعبادة ابن الصامت وسار عمر ابن الخطاب
يريد بيت المقدس فكان لا ينزل منزلا ويبرح
منه حتى يصلي غداة الغداة فإذا انفتل من صلاته
يقبل على المسلمين ويقول الحمد لله الذي هدانا

للإسلام وجعلنا بعد الشتات على كلمة التقوى وألف
بين قلوبنا ونصرنا على عدونا ومكن لنا في بلاده وجعلنا
إخوانا متحابين فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة
واسألوه المزيد منها والشكر عليها وعلى ما أصبحتم تتقلبون
فيه من النعمة السابغة فإن الله تعالى يزيد الشاكرين
قال الواقدي رحمة الله عليه ثم يأخذ عمر الجفنة
فيملأها سويقا ويضيف التمر عليها ويقول للمسلمين كلوا
هنيئا قال ويأكل مع المسلمين ثم يرحلون ولم يزل
كذلك مع ميسرة قال ابن مالك العبسي كنت
مع عمر ابن الخطاب حين سار إلى الشام فمر على ماء لبني جذام
وعليه طائفة منهم والمائد عى ذات المنار فنزلت
المسلمون عليه فبينما هو كذلك وأصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حوله إذ أقبل عليه قوم من جذام
فقالوا يا أمير المؤمنين إن عندنا رجل له امرأتان
وهما أختان لأم وأب فلما سمع عمر ابن الخطاب ذلك

فغضب

فغضب غضبا شديدا وقال علي به فأوتي به فقال
له عمر ما هاتان المرأتان قال زوجاتي قال عمر بينهما
قرابة قال إنهما أختان لأب وأم قال عمر وما دينك
ألست مسلما قال نعم • قال وما علمت أن ذلك حراما
أوما سمعت أن الله عز وجل يقول وأن تجمعوا
بين الأختين إلا ما قد سلف قال الرجل والله ما علمت
وما هم علي حرام فغضب عمر من ذلك وقال كذبت
وإنهما عليك حرام • ولتخلين سبيل إحداهما وإلا ضربت
عنقك • قال الرجل أفتحكم علي في زوجتي
إن هذا دين ما صبت فيه خيرا • ولقد كنت
غنيا أن أدخل فيه • فقال له عمر ادن مني فدنا منه
فخفق رأسه بالدرة وقال له أتشتم الإسلام يا عدو الله
وعدو نفسه وهو الدين الذي ارتضاه الله لملائكته
ورسله وخيرته من خلقه ولك خل إحداهما وإلا جلدتك
جلد المفتري • فقال الرجل فكيف أصنع بهما

وأنا أحبهما ولكن اقرعوا بينهما فمن وقعت عليها
القرعة فهي لي وأنا لها، فأمر بهما فاقترعا فوقعت القرعة
على أحدهما فأخذها إليه وأطلق سبيل الثانية. ثم قال
له عمر اسمع يا هذا ما أقول لك إنه من دخل في ديننا
ثم رجع عنه فإننا نقتله، وإياك أن تفارق الإسلام
وإياك أن يبلغني عنك أنك ألطت بأخت امرأتك
الذى فارقتها فإنك إن فعلت ذلك رجمتك قال
الواقدي وسار عمر حتى مر على حي بني مرة فإذا قوم
بينهم قد أقيموا في الشمس وهم يعذبون قال عمر ما بال
هؤلاء يعذبون قال عليهم خراج وهم يعذبون عليه
قال وما يقولون قالوا ما يجدون ما يؤدون. قال عمر
دعوهم ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فإني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول إن الذين يعذبون الناس في الدنيا
يعذبهم الله يوم القيامة. ثم أمر فخلى سبيلهم قال
الواقدي رحمه الله ثم سار عمر حتى إذا كان بوادي القرى

فاخبروه

فأخبروه أن شيخا له امرأة وله صديق يوده فقال له
صديقه ألم تجعل لي من امرأتك نصيبا فرضي الشيخ بذلك
وجعل له نصيبا من زوجته فقال له صديقه أنا أكفيك
رعي إبلك وسقيها ويكون لي في امرأتك يوم وليلة
ولك يوم وليلة فقال الشيخ قد فعلت لك ذلك
فأخبروا عمر بذلك فأمر بهما فأحضرا فقال لهما عمر
يا ويلكما ما دينكما قالا مسلمان. قال عمر
فما هذا الذي بلغني عنكما قالا وما هو فأخبرهما
كما سمع عنهما فقال له الشيخ نعم قد كان ذلك
قال لهما أوما علمتما أن هذا حرام في دين الإسلام
قال لا قال له ويحك ما دعاك إلى هذا الأمر القبيح قال
أنا شيخ كبير ولم يكن لي ولد أثق به ولا أتكل
عليه فقلت هذا يعينني في إبلي وعلى زماني وأجعل له
نصيبا من امرأتي ومن حين علمت منك أنه حرام فلا
أفعله فقال له عمر خذ بيد امرأتك فليس لأحد عليك

سبيل

وقف

ثم قال للشاب إياك أن تفترقهما فإن بلغني عنك ذلك ضربت عنقك
قال الواقدي ثم ارتحل عمر يريد بيت المقدس حتى دنا
من أول الشام وأشرف عليه قال أسلم ابن برقان وبرقان
مولى عمر بن الخطاب قال فلما أشرفنا على الشام إذ نظرنا
إلى كبكبة من خيل المسلمين فقال عمر للزبير يا أبا
عبد الله أسرع فانظر هذا الخيل فأسرع الزبير إليها فلما
دنا منها رأى خيولا من المسلمين قد بعث بها أبو عبيدة ن
يأخذون له خبر عمر رضي الله عنه قال الزبير ابن العوام
فسلموا علي وقالوا إلينا يا فتى من أين أقبلت قلت من
المدينة قالوا كيف أهلها قلت بخير قالوا فما فعل عمر
هل أتى إلينا أم لا قال الزبير من أين أنتم قالوا نحن من
العرب أرسلنا أبو عبيدة نأخذ له خبر عمر فرجع الزبير
إلى عمر وأخبره بذلك فقال أصبت يا أبا عبد الله
فأقبلوا إلى عمر رضي الله عنه فسلموا عليه وانقلبوا على
أعقابهم حتى أشرفوا على عسكر المسلمين فنادوا برفيع

أصواتهم

وقف

أصواتهم معاشر المسلمين أبشروا بقدوم أمير المؤمنين ففرح
المسلمون حتى هموا أن يركبوا يتلقونه فقال أبو عبيدة
عزيمتي على رجل يترك مركزه ثم سار أبو عبيدة ومن معه
من المهاجرين والأنصار حتى أشرف على عمر رضي الله
عنه فلما نظر عمر إلى أبي عبيدة وإذا هو راكب على
قلوص موطى له بعباءة قطوانية وخطام قلوصه من شعر
وأبو عبيدة لابس سلاحه فلما نظر أبو عبيدة إلى
عمر أناخ قلوصه وترجل ومد أبو عبيدة يده فصافح
أمير المؤمنين واعتنقا جميعا وأقبلت المسلمون
يسلمون على عمر رضي الله عنه ثم إن عمر وأبو عبيدة
جعلا يتسايران أمام المسلمين ولم يزالا كذلك
حتى نزلا فلما نزلا صلى عمر بالناس صلاة الفجر
ثم خطب خطبة يقول فيها الحمد لله القوي المجيد
الفعال لما يريد • ثم قال أيها الناس إن الله تعالى
قد أكرمنا بالإسلام • وهدانا بمحمد عليه

أفضل الصلاة والسلام وأراحنا من الضلالة وجمعنا بعد
التفرقة وألف بيننا فاحمدوه على هذه النعم
تستوجبون منه المزيد قال الله عز وجل ولئن شكرتم
لأزيدنكم ثم قرأ من يهدي الله فهو المهتدي
ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا فلما تلا عمر ذلك
قال قس من النصارى إن الله لا يضل أحدا فلما كررها
قال عمر إن رجع قالها فاضربوا عنقه فلما عرف
القس ما قال عمر أمسك ومضى عمر في خطبته فقال
أوصيكم بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه الذي
بطاعته ينتفع أولياؤه وبمعصيته تشقى أعداؤه أيها
الناس أدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم
لا تريدون بها جزاء من مخلوق ولا شكرا وافهموا
ما توعظون به وإن الكيس من أحرز دينه وإن
السعيد من وعظ بغيره ألا وإن شر الأمور مبتدعاتها
وعليكم بسنة نبيكم فالزموها وإن الاقتصاد

في السنة خير من الاجتهاد في البدعة والزموا القرآن
فإنكم تجدون فيه الشفا أيها الناس إنه قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامي فيكم وقال
أكرموا أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
ثم يظهر الكذب حتى يشهد من لا يستشهد ويستحلف
من لا يستحلف فمن أراد الجنة فليلزم الجماعة ثم
الصلاة **قال الواقدي** فلما فرغ عمر من خطبته جلس
وجعل أبو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم وعمر
ناصت له يسمع كلامه ولم يزل كذلك حتى حضرت
صلاة الظهر فقالت الناس يا أمير المؤمنين أمر بلالا
أن يؤذن لنا وكان بلال مقيما بالمدينة فلما بلغه أن
الناس نزلوا على بيت المقدس أتا إليهم وشهد قتالهم
فلما بلغه أن عمر قد قدم إلى أبي عبيدة أتا حتى يسلم
عليه فقال عمر يا بلال إن أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسألونك أن تؤذن لهم وتذكرهم أوقات

نبيهم قال بلال سمعا وطاعة فلما قال الله أكبر خشعت
واقشعرت ابدانهم فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمدا رسول الله بكا الناس بكا شديدا حتى كادت
قلوبهم أن تتصدع لعظم ذكر الله عز وجل وذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاد بلال أن يقطع الأذان
مما لقي المسلمون من الخوف والفزع على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما فرغ بلال من الأذان صلى عمر بالمسلمين
فلما فرغ من صلاته جا رجل من المسلمين وقال يا أمير
المؤمنين إن أمرا أجناد الشام يأكلون لحم الطير والخبز
النقي وما لا يلحقه ضعفا المسلمين ولا تناله أيديهم فقال
له يزيد بن أبي سفيان إن سعر هذه البلاد رخيص وإننا
لنصيب ما قال بلال ها هنا بمثل ما قال بلال وكنا نقوت
به أنفسنا في بلاد الحجاز فقال عمر إن كان الأمر على
ما ذكرت فكلوا هنيئا مريئا ولست أبرح حتى تجمعوا إلى
سائر القبائل وتكتبوا أسماهم وأسما فقرائهم وأغنيائهم

وأفرض لكل بيت ما يكفيهم من البر والشعير ومن
العسل والزيت والعدس والخل وما لا بد لهم منه ثم
قال عمر هكذا لكم من أمرائكم غير ما يأتيكم
مني من بيت مال المسلمين وإن قطعه عنكم أمراكم
فأعلموني حتى أعزلهم ثم إن عمر أمر أبا عبيدة والأمراء
بالرحيل فلما هم عمر بالركوب على بعيره وعليه
مرقعته وهي من الصوف وفيها أربعة عشر رقعة أحدها
بأديم أحمر **قال الواقدي** ولقد بلغني ممن أثق به
أن عمر لما لبس مرقعته قال المسلمون يا أمير المؤمنين
لو لبست غير مرقعتك ثيابا بيضا وركبت غير بعيرك
فرسا فإنه يكون أعظم لهيبتك في قلوب أعدائك وأقبلوا
يسألونه ويتلطفون به إلى أن أجابهم إلى ذلك فعند ذلك
قلع مرقعته ولبس ثيابا بيضا قال الزبير إنها كانت
من ثياب مصر تساوي خمسة عشر درهما وطرح على
كتفه منديلا من الكتان كان دفعه له أبو عبيدة

وقدم له بردونا أشهبا من برادين الروم فلما سار عمر
فوقه جعل البردون يتهملج به فلما نظر عمر إلى فعاله
نزل مسرعا وقال لأصحابه أقيلوا عثرتي أقال الله عثراتكم
يوم القيمة لقد كاد صاحبكم أن يهلك لما
داخل قلبي من الكبر فإني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة
خردل من كبر ولا يدخل النار من في قلبه حبة خردل
من إيمان وقد يهلكني ثوبكم الأبيض وبردونكم
المهملج ثم إن عمر نزع ما كان عليه ثم لبس مرقعته
قال الواقدي كنا يوما نقرأ فتوح الشام في بيت
المقدس عند قبر أبي حنيفة وكان يقرأ على عياد
ابن عمر الدينوري وكان من أهل الفضل وكان
يشجع كلامه فلما وصلنا إلى ما ذكرناه من لبس مرقعته
قال قد نسخ خاطري ما أنا قايله قال الراوي
قلت له قل ولا تخالف فتهوي في النار فإن الصدق أمانة

والكذب

والكذب خيانة قال فلما لبس عمر مرقعته جعل يتبختر
في شمايل فقره • والكاينات تعجب من فقره وصبره
عندها زينت له الدنيا بملابسها • وقد أزوت عنه
مصايد لهواتها ولباسها • وترآءت في حلل ملبسها
بواسطة حدثان شينها • وقد جعلت تاج شهواتها
على قمة مفرق استنادها • وأقبلت راكضة في
حيلة مراودته • مطلقة أعنة زمامها في طلب
زوال مجاهدته • معرضة ملابس شينها على شرف
معارضته • صاقلة مرآة تبهرجها في أعين مشاهدته
واقفة على قدم الاستعداد راج إلى ترك خدمته •
بادية بودادها ذريعة إلى واصلته • وعمر قد
مسك عز طاعته • بيد عصمته • فلما نصبت
له حبايل بلاها • ولم تراه وقع في أشراك هواها •
أسمعت خطابا في معناها • قد شغفها حبا إنا لنراها •
فقال لها عمر اذهبي فلست من رجالك • ولا ممن

يقع في أوحالك ، أما تعلمي أني قد تجردت لمعاندتك
ولا حاجة لي في مشاهدتك قال الواقدي فبينما عمر
صاعداً في عقبة بيت المقدس فلقيه قوم من المسلمين
عليهم ثياب الديباج مما أخذوا من الروم فأمر
عمر أن يحثوا التراب على رؤوسهم وأن يخرق
عليهم ثيابهم ولم يزل عمر متعلقاً بالعقبة حتى أشرف
على بيت المقدس ، فلما نظر إليها قال الله أكبر
الله أكبر ، اللهم افتح لنا فتحاً يسيراً ، واجعل لنا
من لدنك سلطاناً نصيراً ، فعند ذلك استقبلته
القبايل والعشاير وأصحاب العقود والرايات وسار
عمر حتى نزل بموضع كان فيه أبو عبيدة فضربت له
خيمة من الشعر ثم قام فصلى أربع ركعات وضجت
المسلمون بالتهليل والتكبير ، فسمع أهل بيت
المقدس ضجيج المسلمين قالوا ما بال العرب
فأشرف على المسلمين رجال من العرب المتنصرة ٥

وقالوا يا معاشر المسلمين أخبرونا ما شأنكم قالوا لهم إن
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد قدم علينا من مدينة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعت المتنصرة وأعلموا
البترك بذلك فأطرق البترك ولم يتكلم فلما كان
من الغد وقد صلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر قال يا ابن
الجراح تقدم إلى أهل بيت المقدس وأعلمهم أني قدمت
إليهم فتقدم أبو عبيدة وقال يا أهل هذه البلدة
إن صاحبنا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين قد أتى فما
تصنعون فأعلموا البطريق بذلك فخرج البترك من
كنيسته وعليه المسوح وسار معه الناطليق والنصارى
حوله وهم يقولون له إن كنت تعرف صفته وإلا
فلا تفتح له قال لهم البترك إني فاعل ذلك ثم إن
البترك علا فوق السور ووقف الناطليق إلى جانبه
والصليب الأعظم على رأسه وأشرف على أبي عبيدة
وقال ما تشا أيها الشيخ البهي قال له أبو عبيدة هذا

أمير المؤمنين قد أقبل فاخرجوا إليه فاطلبوا منه الأمان
والذمة وأذعنوا له بالجزية قال له البترك يا هذا الرجل
إن كان هذا صاحبكم فيدنوا منا حتى نراه ونرى صفته
فإن كان هو نزلنا إليه وعقدنا له الأمان والذمة
وأقررنا له الجزية وإن كان غيره فما لكم عندنا إلا
القتال فرجع أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب وأعلمه
بذلك فهم عمر بالقيام قالوا له أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا أمير المؤمنين تمضي إلى هؤلاء وليس
عليك آلة السلاح وإننا نخاف أن يكيدوك
فقال عمر قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا
وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم إن عمر أمر ببعيره
فقدم إليه فاستوى على كوره وعليه مرقعته وليس
عليه غيرها وعلى رأسه قطعة عباءة قطوانية قد عصب
بها رأسه وليس معه غير أبي عبيدة وهو سائر بين
يديه حتى قرب من الحصن ووقف بإزاء البترك

والناطليق فقال أبو عبيدة يا هؤلاء هذا أمير المؤمنين
قد أتى فمد البترك عينه فنظر إلى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فلما حققه صاح وقال والله هذا
الذي نجد صفاته مكتوبة عندنا ثم قال البترك
يا أهل بيت المقدس انزلوا إليه واعقدوا معه الأمان
والذمة فهذا والله صاحب محمد فلما سمعوا أهل
بيت المقدس ذلك نزلوا له مسرعين وفتحوا الأبواب
وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد والذمة فلما نظر
عمر إليهم على تلك الحالة خر ساجدا لله تعالى على
قتب بعيره ثم أقبل إليهم وقال لهم ارجعوا إلى
بلدكم ولكم الذمة والعهد أن سألتمونا وأقررتم
لنا الجزية فرجع القوم إلى حصنهم ولم يغلقوا الباب
ورجع عمر بن الخطاب إلى عسكره فبات فيه تلك
الليلة فلما أصبح دخل إليها **قال الواقدي** وكان
دخول عمر إلى بيت المقدس يوم الاثنين وخرج

منها يوم الجمعة وخطّ لها محرابًا وهو موضع مسجده وتقدّم فصلّى ركعتين
بالمسلمين وهي صلوة الجمعة فهمّت الروم أن تغدرهم
وكان أبو الجعيد الذي نصب على الروم باليرموك نازلًا في
بيت المقدس بأهله وماله فقالوا له ما ترى من غدرنا بهؤلاء
العرب إذا اشتغلوا بصلاة العيد وسجدوا وليس معهم
آلة سلاح فقال لهم أبو الجعيد يا قوم لا تفعلوا ولا
تغدروهم ولكن اتركوهم فإن كانوا ممّن يريد
الدنيا وحطامها فاغدروهم وإن لم يكن لهم قصد
إلى ذلك ورأوا متاعكم ولم يعارضوه فما لكم إلى
غدرهم سبيل فأقبل القوم إلى ما كانوا يقدرون
عليه من المتاع والمال فأخرجوه في شوارع المدينة
وصفّوه في طريق المسلمين فأقبلت المسلمون ينظرون
إلى ذلك ويقولون الحمد لله الذي ملّكنا ديار
قوم يقدرون على مثل ذلك قال أيوب بن سالم ما من
المسلمين من مدّ يده إلى شيء من ذلك فقال أبو الجعيد

هؤلاء

هؤلاء القوم الذين وصفهم الله في التورية والإنجيل ولا
يزالون على مثل ذلك وما داموا عليه لا يقوم أحد بحربهم

ذكر إسلام كعب الأحبار

قال الواقدي حدّثني بشر بن حوشب قال سمعت كعب بن
الأحبار يقول إنّ عمر بن الخطاب لمّا صالح أهل بيت المقدس
ودخل فيها أقام فيها عشرًا فأقبلت نحوه وكنت في قرية
من قرى فلسطين فقدمت إليه لأسلم على يديه وذلك
أنّ أبي كان أعلم الناس بما أنزل الله على عيسى وموسى
عليهما السلام وكان لي محبًّا وعليّ مشفقًا ولم يكتمني
شيئًا من علمه الذي علّمه الله له فلمّا حضره الموت
دعاني إليه وقال يا بنيّ إنك تعلم أني ما ادّخرت عنك
شيئًا إلا أعلمتك به إلّا أني خشيت عليك أن يخرج
لك بعض الكذّابين فتتبعه وقد جعلت هاتين
الورقتين في تلك الكوّة فلا تتعرّض لهما بل
تنظر فيهما حتى تسمع بنبيّ يبعث في أرض

تهامة اسمه محمد صلى الله عليه وسلم فان يرد الله بك خيرا
فانت تدخل في دينه ثم مات ابي بعد وصيته اياي
قال كعب ولم يكن شيء احب الي من ان
تنقضي المواسم والمآتم فلما انقضت المآتم اقبلت الى
تلك الكوة ففتحتها واخرجت الورقتين فنشرتهما
فاذا فيهما مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله
لا نبي بعده مولده بمكة ودار هجرته يثرب
الطيبة المدينة الامينة ليس بفظ ولا غليظ امته
الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال
ألسنتهم رطبة بالتهليل والتكبير وهو منصور
على كل من عاداه يسترون فروجهم وأوساطهم
مطهرون أناجيلهم في صدورهم وتراحمهم
بينهم كتراحم الانبياء بين الامم وهم اول من
يدخل الجنة يوم القيمة من الامم قال
فلما قرأت ذلك قلت في نفسي وهل شيء خير من ذلك

ثم مكثت بعد ذلك ما شاء الله الا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قد ظهر بمكة وهو يظهر امره مرة بعد اخرى قلت هو
والله لا محالة ولم ازل في امري مفكرا حتى خرج من مكة
ونزل يثرب فجعلت اترقب امره حتى غزا غزواته ونصره
الله على اعدائه فتجهزت اريد المسير اليه فبلغني انه
قبض صلى الله عليه وسلم فقلت في نفسي لعله ليس
الذي انتظره حتى رأيت في منامي ابواب السماء قد فتحت
والملائكة زمرا تنزل وقائلا يقول قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحي من السماء عن اهل
الارض فرجعت الى داري فجاء الخبر ان قد قام
من بعده خليفة من امته اسمه ابو بكر الصديق
رضي الله عنه فقلت اريد اقدم عليه فلم البث الا يسيرا
اذ جاءتنا جنوده وجيوشه الى الشام ثم جاءنا انه توفي
الى رحمة الله تعالى واستخلف من بعده رجل يقال
له عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلت لا ادخل في

هَذَا الدِّينِ حَتَّى أَعْرِفَ حَقِيقَتَهُ وَلَمْ أَزَلْ مُتَوَقِّفًا حَتَّى قَدِمَ
عُمَرُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَصَالَحَ أَهْلَهَا وَرَأَيْتُ وَفَاءَهُمْ
بِعَهْدِهِمْ وَمَا صَنَعَ اللَّهُ بَعْدُ وَهُمْ فَعَلِمْتُ أَنَّهُمْ أُمَّةُ النَّبِيِّ
الْأُمِّيِّ وَحَدَّثَتْ نَفْسِي بِالدُّخُولِ فِي دِينِهِمْ فَوَاللَّهِ إِنِّي
ذَاتَ لَيْلَةٍ نَائِمٌ عَلَى سَطْحِ دَارِي وَإِذَا بِرَجُلٍ يَقْرَأُ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا
مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا
أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا
قَالَ كَعْبٌ فَلَمَّا سَمِعْتُ هَذِهِ الْآيَةَ فَمَا كَانَ
شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الصَّبَاحِ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ مِنْ مَنْزِلِي
وَسَأَلْتُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقِيلَ لِي إِنَّهُ فِي بَيْتِ
الْمَقْدِسِ فَقَصَدْتُ نَحْوَهُ وَسِرْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ صَلَّى
بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ وَعَلَيْكَ
السَّلَامُ مَنْ أَنْتَ قَالَ أَنَا كَعْبُ الْأَحْبَارِ أُرِيدُ الْإِسْلَامَ
أَدْخُلُ فِيهِ لِأَنِّي وَجَدْتُ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ

أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَا مُوسَى مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَكْرَمَ مِنْ
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَوْلَاهُ مَا
خَلَقْتُ جَنَّةً وَلَا نَارًا وَلَا شَمْسًا وَلَا قَمَرًا أُمَّتُهُ خَيْرُ الْأُمَمِ
وَدِينُهُ خَيْرُ الْأَدْيَانِ أَبْعَثُهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أُمَّتُهُ خَيْرُ
أُمَّةٍ وَهُوَ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ التِّهَامِيُّ الْقُرَشِيُّ
الرَّحِيمُ بِالْمُؤْمِنِينَ الشَّدِيدُ عَلَى الْكَافِرِينَ سَرِيرَتُهُ مِثْلُ
عَلَانِيَتِهِ وَقَوْلُهُ لَا يُخَالِفُ فِعْلَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ عِنْدَهُ
سَوَاءٌ أَصْحَابُهُ مُتَرَاحِمُونَ مُتَوَاصِلُونَ فَقَالَ عُمَرُ الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّنَا وَأَكْرَمَنَا وَشَرَّفَنَا وَرَحِمَنَا بِرَحْمَتِهِ
الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَهَدَانَا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ كَعْبٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَفِي كِتَابِكُمُ الَّذِي
أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ ذِكْرُ نَبِيِّكُمْ فَقَالَ عُمَرُ نَعَمْ ثُمَّ
قَرَأَ عُمَرُ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ
اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ
أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ

لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك
إبرهيم وإسمعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون
ثم قرأ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو
في الآخرة من الخسرين ثم قرأ اليوم أكملت لكم
دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الإسلام دينا ثم قرأ وما جعل عليكم في الدين من
حرج ملة أبيكم إبرهيم هو سماكم المسلمين
من قبل قال كعب لما سمعت ذلك
قلت يا أمير المؤمنين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمدا رسول الله ففرح عمر بإسلام كعب
الأحبار ثم قال هل لك أن تسير معي إلى المدينة إلى
قبر محمد صلى الله عليه وسلم وتتمتع ببركاته
فقلت نعم يا أمير المؤمنين إني فاعل ذلك فكتب
عمر لأهل بيت المقدس عهدا وأقرهم في بلدهم
على عهدهم وارتحل وسار بعسكره إلى الجابية

ودون

ودوّن الدواوين وأخذ الخمس الذي فيه لله عز وجل
مما أفاء الله على المسلمين ثم قسم الشام فأعطى أبو عبيدة
من حوران إلى حلب وما يليها وأمره بالمسير إلى حلب
وأن يقاتل أهلها حتى يفتحها الله على يديه وأعطى أرض
فلسطين وأرض القدس والساحل ليزيد بن أبي سفين
وجعل أبو عبيدة واليا عليه وأمره أن يجاهد أهلها
وأهل قيسارية حتى يفتحها الله على يديه وكان
قد أعطى أكثر الجيش لأبي عبيدة وسير إلى مصر عمرو
ابن العاصي واستعمل على قصبة حمص عمير بن سعيد الأنصا ري
ثم سار عمر بن الخطاب يريد مدينة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأخذ كعب الأحبار معه وكانت الناس
يظنون أن عمر يقيم بالشام لما فيها من الخير والرخص
ولما فيها من بركات الأنبيا وبركة بيت المقدس
فلم يشعروا الناس إلا وعمر قد قدم عليهم في المدينة
فاستبشرت الناس بقدومه وفرحت الصحابة وسلموا

عليه وهنوه بالفتح فأول ما بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين
ثم سلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعا
بكعب الأحبار وقال يا كعب الأحبار حدث المسلمين
بما رأيت في الورقتين فحدث الناس فازداد المؤمنون
يقينا وإيمانا رضي الله عنهم أجمعين قال الواقدي
حدثني أحمد بن الحسين عن العباس المعروف بابن أبي
سفيان النحوي قال حدثنا عبد الله بن جعفر بن عبد الله
ابن يحيى عن من حدثه ممن تقدم ذكرهم في أول
الكتاب وحديث القوم قريب بعضه من بعض والله
يعيذنا من الزيادة والنقصان لأن الصدق أمانة
والكذب خيانة قال الواقدي والله الذي لا إله
إلا هو ما اعتمدت في هذا الفتوح إلا على الصدق وما
أخذت إلا عن قاعدة الصدق لأبين فضايل أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرغم أهل الرفض
والخارجين عن السنة فلله درهم لقد جاهدوا

وصبروا وثبتوا للقاء العدو وما قصروا حتى زحزحوا الكفر
عن سريره وتهيأ المسيره وأذلوا كسرى حتى علا
الإسلام وظهر وذل الكفر وتقهقر لا جرم أن الله
قال فيهم فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما
بدلوا تبديلا

ذكر فتوح حلب

وما جرى فيها قال الواقدي وذلك أن أبا عبيدة لما
بعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى حلب والمعرة
وما يليهم من الحصون وبعث يزيد بن أبي سفيان إلى
الساحل وكانت قيسارية أهلة بالخلق وكثرة الجند
وكان المتولي عليها قسطنطين ابن الملك هرقل
ومعه ثمانون ألفا من الروم ومن العرب المتنصرة
فلما نظر قسطنطين إلى يزيد بن أبي سفين وقد نزل
عليه يريد القتال والحرب بعث قسطنطين إلى جيش
يزيد بن ابى سفيان وقد نزل عليه يريد القتال
والحرب بعث قسطنطين إلى أبيه هرقل أن ينجده

بالعدد والرجال فبعث إليه بطريق اسمه ميخاييل في عشرين
ألفا ونفذ إليه المراكب بالعلوفات والزاد فلما نظر
يزيد بن أبي سفين إلى ذلك وأن لا قدرة له على قيسارية
كتب كتابا إلى عمر بن الخطاب يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد بن أبي سفيان إلى أمير
المؤمنين سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو
وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد
يا أمير المؤمنين فإني نزلت قيسارية فوجدت أهلها
كثيرا وهي مرشقة بالنبال والعدد والرجال
وليس لي إليها من سبيل وأن قسطنطين ابن الملك
هرقل قد أنجده أبوه بصاحب مرعش ميخاييل في عشرين
ألف من الروم ومن العرب المتنصرة والمراكب تورد
عليه بالعلوفة والطعام وأريد النجدة والسلام
وطوى الكتاب وبعثه إلى عمر بن الخطاب مع سالم بن
حميد النخعي فلما ورد سالم المدينة سلم على عمر وناوله

الكتاب

الكتاب فقال من أين هذا الكتاب قال من عاملك
يزيد بن أبي سفين فقرأ الكتاب وفكر فيه وإذا علي بن
أبي طالب رضي الله عنه قد أقبل فسلم على عمر وجلس
يحدثه فقال عمر هذا كتاب يزيد بن أبي سفين
من على قيسارية يطلب النجدة فقال له علي لا تغتم
على المسلمين فإن الله يفتحها على يديه فأنجد يزيد
ابن أبي سفين ما قدرت فكتب عمر بن الخطاب
إلى أبي عبيدة كتابا يأمره أن ينجد يزيد بن أبي
سفين **قال الواقدي** وكان مع أبي عبيدة
عشرين ألفا ومع يزيد ستة آلاف ومع عمرو بن
العاصي عشرة آلاف **قال الواقدي** ولما وصل
الكتاب إلى أبي عبيدة نفذ إلى يزيد ثلاثة
آلاف فارس وبقي أبو عبيدة في سبعة عشر ألفا
أكثرهم من اليمن وذلك أن أبا عبيدة كان
قد صالح أهل قنسرين والحاضر عنوة على خمسة آلاف

أوقية من الذهب ومثلها من الفضة وألفي ثوب من أصناف
الديباج وخمس مائة وقر من التين والزبيب فلما تم
صلحهم وجاؤوا بما ضمنوا من مد بينهم وحاضرتهم كتب
لهم كتاب الصلح وشرط لهم الشروط ودخل أبو عبيدة
وخالد بن الوليد في حصنهم ومعهم رجال من المؤمنين
ومن سادات المسلمين فخطوا فيها مسجدا وبلغ الخبر إلى
أهل حلب أن المسلمين قد صالحوهم أهل قنسرين
فاضطربوا اضطرابا شديدا وكان متولي على حلب
بطريقان وكانا أخوين وكانا يسكنان في
القلعة وكانت المدينة منفردة بذاتها وكان
أحدهما يسمى يوقنا والآخر يوحنا وكان أبوهما
ملك البلد وأعمالها وضياعها إلى حدود الدروب
وإلى حد الفراة وقد ملك حلب سنينا لا ينازعه فيها
منازع وكان هرقل طاغية الروم قد أقطعه إياها
نزعا من شره ومكره وكانت ملوك الروم تهابه

وتخاف من شره فلما هلك ملك الأمر من بعده ولده يوقنا
وكان الكبير وكان شجاعا بطلا جامعا للأموال
مقدما في الحرب لا يصطلى له بنار وكان أخوه
يوحنا لينا وكان قد نزع يده من الملك وترهب
وكان أعلم أهل زمانه فلما بلغه الخبر أن أبا
عبيدة قد قصد إليهم بجيوش الإسلام قال
لأخيه يوقنا ماذا عولت عليه تصنع قال يوقنا على
قتال العرب ولا أدعهم يقربون أرضنا وبلدنا
وإني لست مثل بطارقة الشام ولا مثل غيرهم
قال له أخوه يوحنا وكان قد درس الإنجيل
وقرأ المزامير وليس له همة إلا عمران الكنايس
وبنا الأديرة وتشييد الصوامع وكسوة الرهبان
والقسوس والشمامسة والقيام بأمورهم ولما
بلغهم فتح الحاضر وقنسرين صلحا وأن العرب
نازلون عليها وخيلهم تضرب إلى المعراة والعواصم

والبقاع إلى حد الفراة أقبل يوحنا إلى أخيه الأكبر
يوقنا وقال له يا أخي أريد أن أخلو بك ليلة من الليالي
وأشاورك وأطلعك إلى أمر فأنعم له بذلك فلما اجتمعا
في الليل للمشورة أقبل يوقنا على أخيه يوقنا وقال أخي
ما ترى ما نزل بالملوك من هؤلاء العرب الجياع الأكباد
العراة الأجساد وما حل بأهل الشام منهم من القتل
والنهب وأخذ الأموال قهرا وما ينزلون مدينة
إلا يفتحوها ويملكوا أهلها فما ترانا نصنع في أمرهم
وكأني بهم وقد أشرفوا علينا فقال يوحنا يا أخي
إنك إذا استشرتني في أمرك فإني أنصحك ولا أغشك
إن قبلت النصيحة وإن كنت أصغر منك سنا وأقل
للحروب منك بصيرة فوحق المسيح والصلبان لئن قبلت
مني ما أقول لك سلم إليك ملكك قال له يوقنا
يا أخي ما علمتك إلا ناصحا فما عندك من الرأي قال أن
ترسل رسولا إلى العرب وتصالحهم على شيء من المال

تحمله

تحمله إليهم في كل عام ما دام الأمر لهم فلما سمع يوقنا
ذلك من كلام أخيه يوحنا استوثق منه غضبا وقال
له قبحك المسيح وإنما ولدتك أمك راهبا ولم تلدك
ملكا ولا محاربا ما أقبح رأيك لأن الرهبان لا قلوب
لهم لأن أكلهم العدس وغيره لا يأكلون اللحم
ولا يعرفون النعيم وليس لهم بالحرب معرفة وليس
بيني وبين العرب إلا الحرب والقتال فلما سمع يوحنا
كلام أخيه يوقنا قال يا أخي وحق المسيح إني أظن أن
أجلك قد اقترب لأنك صاحب بغي تريد سفك الدماء
وقتل النفس وما أظن جموعك بأكثر من جموع
الملك هرقل التي جمعها يوم اليرموك ومع وردان
على أجنادين وهؤلاء القوم قد أذن لهم علينا فاتق
الله ولا تعين على نفسك فقال له أخوه يوقنا أكثرت
الكلام ومدحت العرب ولم أر أحدا من ملوك
الروم سلم مدينته إليهم إلا بعد القتال وإنما جمعت

الأموال لأدفع بها الأذى عني وإني قد عولت على الحرب والحصار
لنفسي بعد قتالهم فإن كانت الغلبة لهم علي دخلت
قلعتي وإن نصارى المسيح عليهم تميت خلفهم إلى الحجاز
وإن كانت الغلبة علي فإني قد أوعيت في قلعتي من
الزاد ما يكفيني طول عمري وأكون فيها عزيزا
إلى أن أموت ولا أسلم نفسي للعرب ولئن عاودتني
بكلام بعد هذا يكون في صلح العرب لأبطشن
بك قبلهم . قال الواقدي رضي الله عنه واحتوى الشيطان
على عقله وقد زين له سوء عمله فلما سمع يوحنا كلام
أخيه يوقنا قال له كلامك علي حرام بعد هذا ثم قام
عنه مغضبا . فلما كان من الغد جمع إليه كل من جاء
إليه من عسكر الروم ومن العرب المتنصرة
وأعرضهم فمن أراد سلاحا أعطاه وفرق فيهم الأموال
وجعل يهون عليهم أمر العرب ويقول إنما هم قليل
وليسوا بالكثير وإن جموعهم قد افترقت منهم

من

من توجه إلى قيسارية ومنهم من توجه إلى مصر قال
الواقدي رضي الله عنه وعزم يوقنا على قتال أبي عبيدة قبل أن
يصل إليه وإلى بلده ثم عمد يوقنا إلى بطريق من بطارقته
اسمه اسكراكس وضم إليه ألف لابس ووكله
بحفظ بلده وسار يوقنا بمن معه يريد يلقا أبا عبيدة
والمسلمين ويوقنا يومئذ في اثنا عشر ألفا غير من كان
بلا لباس ويسيروا والأعلام والصلبان أمامهم وكان
مقام أبي عبيدة على قنسرين لما فتحها فعند ذلك
عزم أبو عبيدة على المسير إلى حلب فدعا برجل من بني
ضمرة يقال له كعب بن ضمرة الضمري وكان
بطلا محاربا شديد البأس كثير الإخلاص وكان
إذا ثبت على وجه الأرض لا يبالي بالأبطال
إن قلت أو كثرت فضم إليه ألف فارس وسرحه
على مقدمة العسكر وقال له يا كعب لا تقاتل
جيشا لا تطيقه واختبر أمر هذا البطريق يوقنا

واعلم خبري وأنا والعسكر وراك إن شاء الله تعالى فسار
كعب بالألف فارس وكان يوقنا قد قدم أمام
عسكره عيونا يأتوه بالأخبار فخبروه بأن رجلا من
العرب معه ألف فارس قد تقدم يروم البلد والقتال
وهم نزول على ستة أميال من بلدك فكمن لهم
يوقنا كمينا ثم سار بجيشه حتى أشرف على القوم
وهم في أماكنهم نزول على الماء يسقون فلما أشرف
يوقنا على المسلمين والصليب أمامه نادوا المسلمون
بعضهم لبعض واستووا على متن سروجهم وركب
كعب فرسه وسار في أول القوم فحزر عسكر يوقنا
فصح عنده أنهم خمسة آلاف فارس ولم ير كعب الكمين
لأن يوقنا كان قد كمن نصف عسكره وتظاهر
للمسلمين في النصف الآخر فأسرع كعب إلى أصحابه وقال
يا أنصار المسلمين إني قد أسرعت حتى أشرفت على
عسكر يوقنا وقد حزرته خمسة آلاف فارس

وأقبل يشجع بعضهم بعضا وصاح يوقنا برجاله وحملوا
على المسلمين حملة صعبة وحمل المسلمون عليهم واشتد
الحرب وقاتل المسلمون قتال الموت وأيقنوا بالغنيمة
وإذا الكمين قد طلع على المسلمين من وراء ظهورهم
وحملوا على المسلمين قال مسعود بن عون اللخمي
شهدت الخيل الذي بعثها أبو عبيدة مع كعب بن ضمرة
طليعة وكنت فيها يوم التقى الجمعان وقد خرج
علينا الكمين ونحن في القتال لا نظن أن لهم كمين
وإذا بحوافر الخيل نسمعها والخيل قد كبت علينا
فأيقنا بالهلاك وصرنا في وسط عسكر الأعلاج
فلم يكن لنا بد من القتال فعند ذلك افترق المسلمون
ثلاث فرق فرقة منهزمة وفرقة تقاتل الكمين
وفرقة مع كعب وقد جهد المسلمون في قتال
اللعين يوقنا ومن معه من عباد الصليب فلله در
الرجال كندة لقد قاتلوا قتالا شديدا ووهبوا

ووهبوا الله تعالى أنفسهم حتى قتل منهم ذلك اليوم مائة
رجل وعمل أهل الكمين عملا عظيما وكعب بن ضمرة
قد قلق على المسلمين قلقا شديدا وهو يقاتل والراية
بيده وهو ينادي يا محمد يا محمد يا نصر الله
انزل يا معاشر المسلمين الثبات الثبات فإنما هي ساعة
ويأتي النصر من عند الله تعالى وأنتم الأعلون
فجعل المسلمون يأتون إليه وقد داروا حوله والجراح
فاشية فيهم وقد قتل من المسلمين مائة وسبعون
رجلا فأما الأعيان فمنهم عباد بن عاصم النجيبي
وزفر بن عامر البياضي من بني بياضة وحازم بن
شهاب وشهيم بن أشتم البجلي ورفاعة ابن محض
الظفري وغانم بن ذر الضمري وعنان بن سيف
الضمري وعويلم بن ناهض الضمري وقيس بن طالب
ونجبة بن دارم الضمري وتخامر بن ضميرة الضمري
ومحكم ابن ماجد اليشكري وسنان بن علوة

أحد بني طهينة ابن عامر اليشكري وسعيد **قال**
الواقدي رحمة الله عليه وكان في جملة من قتل
في ذلك اليوم سعد بن مفلح مولى لبني ساعدة وكان
ممن شهد يوم السلاسل وتبوك بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشهد يوم اليمامة مع خالد
ابن الوليد رضي الله عنه • قال مسعود بن عون فوالله
لقد حزنا على قتله حزنا شديدا ووجدنا فيه أربعين
ضربة كلها في صدره • ولم نجد واحدة في ظهره
وكانت الأعيان أربعة عشر رجلا إلا أن الرجل
ما قتل حتى قتل أعدادا من المشركين وظهر
الفشل منهم لما رأوا من ثبات المسلمين ولا يهولهم
من قتل منهم فهم الروم بالهزيمة فنبههم يوقنا
وقال لهم يا ويلكم إن العرب مثل الذئاب
إن صدقت الحرب ولت وإن تركت طمعت فلما
نظر كعب إلى من قتل تحت رايته اغتم لذلك

عماما شد بها فنزل عن فرسه ولبس درعا فوق درعه وشد
وسطه بمنطقته ومسح وجه فرسه ومناخره وكان
الفرس قد شهد معه المواقع وجاهد عليه بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد سماه البطال
فاستوى على متن جواده ووقف أمام المسلمين وهو
ينظر إلى القتال ويفكر في ذلك وينظر لعل طليعة
تأتي من نحو أبي عبيدة فلم ير أثرا ولا خبرا قال
الواقدي وذلك أن أبا عبيدة قطعه عن المسير إليهم
قدوم أهل حلب وذلك أن يوقنا لما خرج من قلعته
إلى حرب المسلمين اجتمع مشايخ أهل حلب ومشوا إلى
بعضهم بعضا وقالوا يا قوم أنتم تعلمون أن هؤلاء العرب
قد أطاعهم أهل دين الصليب ودخلوا مدنهم
ومنهم من دخل في دينهم ومن قاتلهم خسر فهل لكم
أن تسيروا إلى أمير العرب ونسأله الصلح لنا وعلى
مدينتنا وندفع له من المال ما أراد فإن ظفر بيوقنا

فنكون

فنكون نحن آمنين منهم وقد سبقنا إلى الصلح وإن غلب
ورجع سالما لم نعلمه بذلك واتفق رأيهم على ذلك
فخرج منهم ثلثون رجلا من رؤسائهم وسلكوا طريقا
غير طريق يوقنا حتى أشرفوا على عسكر أبي عبيدة
وهو نازل على قنسرين وقد عزم أبو عبيدة على الرحيل
إلى حلب وإذا هم قد أشرفوا عليه فلما أشرفوا على
المسلمين نادوا الفوز الفوز وهذه الكلمة بلسان
الروم يطلبون بها الأمان فإذا سمعتموها منهم فلا
تعجلوا عليهم بالقتل وكان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قد أوصاهم بذلك فلما سمع المسلمون
ذلك أسرعوا إلى الثلاثين رجلا وأوقفوهم
أمام أبي عبيدة فقال خالد يوشك أن هؤلاء
القوم يطلبون الأمان والصلح لأنفسهم وهم
أهل حلب قال أبو عبيدة أرجو ذلك أن يكون
إن شاء الله تعالى وإن صالحوني صالحتهم وأبو عبيدة

لا يعلم ما أصحابه فيه وكانوا أهل حلب قد أقبلوا على
المسلمين ليلًا والنار توقد ومن المسلمين رجال يقرؤون
القرآن ومنهم من هو معتكف في صلاته رضي الله عنهم
فجعلوا أهل حلب يقولون لبعضهم بهذا الفعل نصرت
العرب علينا فلما سمع أبو عبيدة ما قالوا سأل أبو عبيدة
الترجمان فأخبرهم بما قالوا فقال أبو عبيدة إننا قوم
قد سبقت لنا العناية وإننا لا نريد من الله ورسوله
بدلًا ولا نخدع من قتال الأعداء فقال لهم الترجمان
من أنتم قالوا نحن سكان حلب من تجارها وسكانها
وسوقتها وقد جئناكم نطلب الصلح والأمان
منكم قال لهم أبو عبيدة وكيف نصالحكم
وقد بلغنا أن بطريقكم قد صمم على قتالنا وقد
حصن قلعته وجعل فيها ما يقوته سنين وجند الجند
وأكثر من ذلك وما لكم عندنا صلح قالوا أيها الأمير
بطريقنا قد خرج من عندنا يريد حربكم وقتالكم

قال لهم أبو عبيدة ومتى خرج قالوا خرج سحيرًا وخرجنا
نحن من بعده وسلكنا طريقًا غير طريقه وإننا نرجوا
أنه هالك لا محالة لأنه ركب طالبًا للبغي ولم يرض
بالصلح فلما سمع أبو عبيدة بخروج البطريق خاف
على طليعته وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم هلك كعب ومن معه إنا لله وإنا إليه
راجعون ثم أطرق إلى الأرض فقالت شيوخ
حلب للترجمان كلم لنا الأمير في الصلح فقال
أبو عبيدة لا صلح لهم عندنا فقالوا أهل حلب اعلم
أيها الأمير أنه اجتمع إلينا خلق كثير من القرى
وكنا لكم عونًا على عمارتها وعشنا في ظلكم
وأيام عدلكم وإن أنتم أبيتم ذلك نفرت الناس
عنكم إلى أقصى بلاد الروم وشاع الخبر أنكم
لا تصالحون أحدًا فلا يبقى أحد حولكم فأعلم الترجمان
ما قالوا أهل حلب وإذا قد برز من أهل حلب

رجل دحداح من الرجال وكان حكيما حسن الوجه
فصيح اللسان بالعربية فقال أيها الأمير اسمع ما أقوله
لك من العلم الذي أنزله الله على أنبيائه فقال
أبو عبيدة قل نسمع فإن كان حقا علمناه وإن كان
غير الحق لم نسمعه قال الرجل يقول الله عز وجل
أنا الرب الرحيم خلقت الرحمة وأسكنتها في
قلوب عبادي المؤمنين وإني لا أرحم من لا يرحم
فمن أحسن أحسن الله إليه ومن تجاوز تجاوز
الله عنه ومن طلبني وجدني ومن أغاث ملهوفا
أمنته يوم القيامة وبسطت له في رزقه وباركت
له في عمره وكثرت له أهله ونصرته على
أعدائه ومن شكر المحسن على إحسانه فقد شكرني
وإننا قد أتيناك ملهوفين خائفين فأقل عثرتنا
وأمن روعتنا وأحسن إلينا فلما سمع أبو عبيدة
كلامهم بكا من قوله وقرا إن الله يحب

المحسنين ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
جميع النبيين هذا والله أرسل نبينا إلى جميع الخلق
فالحمد لله الذي هدانا به ثم أقبل أبو عبيدة على جميع
المسلمين وهم من حوله وفيهم المهاجرون والأنصار
وقال يا معاشر المسلمين إن هؤلاء أهل ضياع وسوق
وهم مستضعفون فنحسن إليهم ونطيب قلوبهم
فإنه من كان من أهل المدينة من السوقة فهم
يعينونا بالميرة والعلوفة ويعلمونا بما يقدم عليه
عدونا ويكونون عونا لنا فقال رجل من المسلمين
أصلح الله الأمير إن المدينة قريبة من القلعة
وإننا لا نأمن أن يدلوا هؤلاء الروم على عورتنا
وينبئوهم بأحوالنا وربما أتوا القوم بجند عونا
أوما ترى إلى بطريقهم قد خرج إلى قتالنا وكيف
يطلبون هؤلاء القوم الصلح منا قال أبو عبيدة
أحسن ظنك بالله عز وجل فإن الله لا يخذلنا ولا

وقف

يسلط علينا عدوا فرحم الله عبدا قال خيرا أو صمت
وأنا أشترط عليهم النصيحة للمسلمين في صلحهم ثم
أقبل أبو عبيدة على أهل حلب وقال لهم إني أريد
أن أشترط عليكم في الصلح أن تبذلوا لنا ما بذل
لنا أهل قنسرين قالوا أيها الأمير إن قنسرين أقدم
من مدينتنا وأكثر خلقا ومدينتنا متخلية من
الناس لجور بطريقنا علينا لأنه قد أخذ أموالنا
وصعد بها إلى القلعة وما بقي في المدينة إلا الضعفاء
من الرجال ومن لا مال له وإننا نسألك أن ترفق
بنا وتعدل فينا قال لهم أبو عبيدة فما الذي تريدون
أن تبذلوا من المال في صلحكم قالوا نعطي نصف
ما أعطى أهل قنسرين ثم قال أبو عبيدة قد قبلت
منكم ذلك على أننا إذا نزلنا بساحتكم تعينونا
بالميرة وتبيعونا وتشتروا منا ولا تكتمونا خبرا
تعلموه من أعدائنا ولا تمكنوا جاسوسا يتجسس

في

وقف

في عسكرنا وإن رجع بطريقكم منهزما تمنعوه من
الصعود إلى القلعة قالوا أيها الأمير أما هذا فلا نقدر
عليه ولا نقدر نمنعه من القلعة قال لهم أبو
عبيدة لا تمنعوه من القلعة ولكن تعقدون
لنا الشرط عليكم بخلعت الروم وبالأيمان التي
يعرفونها وقال لهم اعرفوا أنكم قد حلفتم
بأيمانكم التي تعتقدونها فمن كان منكم دل
على خبر من البطريق ولم يعلمنا به وجب لنا عليه
القتال وأخذنا ماله وولده حلالا طيبا ومتى ما
نقضتم ما اشترطنا عليكم فلا عهد لكم عندنا
ولا ذمة ولنا عليكم الجزية من العام المقبل
قال سعيد بن عامر ورضوا أهل حلب
بما اشترط عليهم أبو عبيدة وكتب أسماءهم
وعزم القوم على المسير فقال لهم أبو عبيدة وهل
لكم أن نسير معكم أحدا من المسلمين

إلى أن تصلوا إلى ما منكم فقد وجب حقكم علينا
لدخولكم تحت ذمتنا قال الدحداح أيها الأمير
إننا نسير في الطريق الذي أتينا فيه ولا نريد
معنا أحدا فسار أهل حلب وبات أبو عبيدة تلك
الليلة قلقا على كعب بن ضمرة ومن معه من
المسلمين **قال الواقدي** ورجع أهل حلب من
ليلتهم إلى المدينة وانفجر الصبح ولم يصلوا إلى
مدينتهم فنظر إليهم بعض الأعلاج فأشرف عليهم
وقال لهم أين كنتم وما صنعتم فعلموا
أنه من أهل حلب فأخبروه بالذي عملوه من الصلح
بينهم وبين المسلمين وسار العلج إلى أن وصل
إلى يوقنا وأخبره بذلك وربما أنك لا تلحق القلعة
أن يملكوها فلما سمع يوقنا ما قاله العلج خاف
على القلعة أن يملكوها في غيبته فانفسخ عليه ما
كان يؤمله وكان قد قتل من المسلمين مائتي

فارس

فارس وكعب بن ضمرة قد صمم نفسه على الحرب
والموت وعلم أنهم هالكين لا محالة قال كعب
وكنت صاحب الحرب اليوم بنفسي أمنع عنهم
وأفديهم بمهجتي وأنا مع ذلك أتوقع فرجا من الله
عز وجل ولم يزل الحرب بيننا يوما وليلة إلى الصباح
من اليوم الثاني فأقسم كعب بالله عز وجل
أن أحدا منا ما صلى صلاة ولا وصل إلى زاد يأكله
ولا ما يشربه وأنا بين اليأس والخوف وأترقب
طريق قنسرين أن تطلع علينا راية الإسلام
فلم أر شيئا فبينما أنا كذلك إذ رأيت جيش
العدو وقد انطرد من بين أيدينا وقد علت
لهم ضجة عظيمة فقلت ما هذا إلا مدد لحقهم
من مدينتهم أو من الملك فالتجأت إلى كلمة
الشدائد وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم قال كعب بن ضمرة فما قلتها وعلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم إلا وجيش العدو وقد انكشف
عنا ورجع على عقبه فقلت الحمد لله حمد الشاكرين
فهممت أن أتبعهم فصاح بي المسلمون إلى أين
يا كعب ارجع فما كفاك ما نحن فيه من التعب
والنصب فدعنا نؤدي الفرض الذي علينا ونريح
خيلنا فما رد الله عنا هذا القوم إلا بمشيئته فنزل
كعب بن ضمرة بمن معه مكانه فشربت الناس
الماء الصافي وأسبغوا الوضوء وصلوا ما فاتهم
وأكلوا وشربوا واستقبلوا الراحة قال
الواقدي وأبطأ خبر كعب بن ضمرة عن أبي عبيدة
فلما صلى أبو عبيدة صلاة الصبح انفتل من صلاته
وأقبل على المسلمين وخاطب من بينهم خالد بن
الوليد وقال يا أبا سليمان إن أخاك أبا عبيدة ما
رقد البارحة مع أن الواجب علينا الشكر لله
تعالى بما فتح الله علينا ولكني أظن الذي مع كعب

قد

مع كعب قد ذهبوا لما أخبروني أهل حلب أن
البطريق يوقنا قد خرج ولا أعلم لكعب ولا لمن
معه خبرا وأظنهم قتلوا قال خالد بن الوليد
وأنا أيضا ما نمت من الفكر في شأنهم فما الذي
عزمت تصنع أيها الأمير قال على الرحيل ثم إن
أبا عبيدة أمر الناس بالرحيل فسار المسلمون
يريدون حلبا وعلى مقدمة جيش المسلمين
خالد بن الوليد رضي الله عنه وعلى الساقة أبو
عبيدة فما كان غير بعيد حتى أشرف خالد
ابن الوليد على كعب بن ضمرة ومن معه
وهم نيام وقد أقاموا لهم من يحرسهم فصاح
بهم خالد النفير النفير يا أصحاب الدين فتبادرت
المسلمون من أماكنهم كأنهم أسود واستووا
على متن سروجهم وبشروا أصحابهم بقدوم
جيش المسلمين وخالد أمام المسلمين يحمل

راية الإسلام وسلم المسلمون على بعضهم بعضا
وأقبل أبو عبيدة ينظر إلى كعب بن ضمرة وهو
سالم فحمد الله وأثنى عليه ونظر إلى موضع المعركة
وإذا القتلا مطروحين فلما نظر إلى ذلك صارت
رحمته ترحما وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم فادعا بكعب وقال له كيف قتلت
أصحابك فأخبره كعب بما جرا له مع يوقنا وأنه
أشرف هو ومن معه على الهلاك فبينما نحن
كذلك إذ انقلبت الروم عنا راجعين
فقال أبو عبيدة سبحان مسبب الأسباب
ليت أبا عبيدة قتل أمامهم ولا يقتلوا تحت
رايته ثم أمر المسلمين أن يحفروا لهم فحفروا
لهم وصلى عليهم ودفنهم رضي الله عنهم ودماؤهم
سايلة من أبدانهم ثم قال أبو عبيدة سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر

الشهدا يوم القيمة الذين قتلوا في سبيل الله ودماؤهم
على نحورهم اللون لون دم والريح ريح مسك
والنور عليهم يتلالا فيدخلون الجنة بغير حساب
قال الواقدي فلما وارا أبو عبيدة القتلا في
قبورهم قال لخالد بن الوليد إن كان عدو الله
رجع إلى قلعته وسمع بأهل حلب أنهم اصطلحوا
معنا فسيلقون منه تعبا شديدا فالحق بهم فقد
وجب علينا أن نحامي عنهم لأنهم تحت ذمتنا
قال الواقدي وارتحل أبو عبيدة بمن معه من
ساعته فلما ورد حلبا نظر إلى البطريق يوقنا
بمن معه قد أحدق بأهل حلب وهو يريد قتلهم
وهو يقول لهم صالحتم العرب لأنفسكم وصرتم
عونا علينا قالوا له قد فعلنا ذلك لأننا نعلم أنكم
قوم قاهرون لهم قال لهم يا ويلكم إن المسيح
لا يرضا بفعلكم هذا فوحق المسيح لأقتلنكم

عن آخركم أو تخرجوا معي إلى قتال العرب وتنقضون
ما بينهم وبينكم من العهد وتخرجوا إلى من كان
السبب في ذلك فلم يعلموه به فقال يوقنا لعبيده أخرجوهم
إلي واحدا واحدا فجعل العبيد يقتلونهم على فرشهم
حتى قتلوا الثلثمائة رجل فلما سمع أخوه يوحنا بأنه
قتل أهل البلد نزل إليه من القلعة وقال له لا تفعل
فإن المسيح يغضب عليك وقد نهى عن قتل العدو
فكيف من هو على ملتنا فقال لهم يوقنا يا أخي
إنهم قد صالحوا العرب وصاروا لهم عونا علينا
فقال له يوحنا وما عليهم في ذلك وإنهم أرادوا
الإصلاح لأنفسهم لأنهم ليسوا أهل حرب ولا قتال
فقال يوقنا وحق المسيح لا أبقيت منهم أحدا وأنت
الذي حملتهم على صلح العرب فلأبطشن بك قبلهم
ثم عمد إلى أخيه يوحنا وقبض عليه وجرد سيفه
فعلم أنه هالك فرفع طرفه إلى السماء وقال اللهم

اشهد علي أني مسلما إليك وقد خالفت دين هؤلاء القوم
وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله
وأن المسيح نبي الله ورسوله ثم قال لأخيه يوقنا اصنع
ما أنت صانع فإن كنت قاتلي فإني سائر إلى جنات
النعيم • فنزل بيوقنا من إسلام أخيه أمر عظيم
ومن أهل بلده ومن فزعه من المسلمين فزاد به
الغيظ فضرب أخاه يوحنا أزاح رأسه عن جسده
وعجل الله بروحه إلى الجنة وابتدر يوقنا إلى قتال
أهل البلد وهم يستغيثون فلا يغاثون فبينما هم
كذلك وإذا الفرج قد أتاهم إذ أشرفت
عليهم رايات المسلمين • ومن حولها أبطال المؤمنين
وهم ينادون بكلمة التوحيد يقدمهم خالد
ابن الوليد وإلى جانبه أبو عبيدة فلما سمع خالد
أهل البلد وهم في الضجيج والبكاء والنحيب
قال يا أبا عبيدة ذهبوا أهل صلحنا وذمامنا كما

ذكرت ثم حمل فيهم خالد وحمل معه أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا فيهم السيف
فلما نظر يوقنا إلى ذلك حمل مع بطارقته وانهزم
إلى قلعته قال محض بن عميرة العدوي فمن انهزم
مع يوقنا إلى القلعة سلم ومن التجا إلى البر قتل وقتل
يوقنا من أهل صلحنا ثلثمائة رجل وقتلنا نحن من
بطارقته ثلاثة آلاف رجل وكانت وقعة
عجيبة فرج الله بها عن أهل حلب كربة وأخبروا
أبا عبيدة كيف قتل يوقنا أخاه يوحنا قال
الواقدي ولما سلم يوقنا من سيوف المسلمين
ودخل إلى قلعته واستعد للحصار ونصب المنجنيقات
والعرادات ونشر السلاح على الأسوار قال
الواقدي هذا ما كان من أمر يوقنا وأما ما كان
من أهل حلب فإنهم أخرجوا إلى أبي عبيدة أربعين
يسيرا من بطارقة يوقنا فقال أبو عبيدة للترجمان

قل لهم لأي شيء أسرتموهم قالت أهل حلب لأنهم من
أصحاب يوقنا وليسوا معنا في الصلح ولا يمكننا
إخفاؤهم عنكم فأعرض أبو عبيدة الإسلام عليهم
فأسلم سبعة وأما الباقون فضرب أعناقهم ثم قال
أبو عبيدة لأهل حلب والله لقد نصحتم في صلحكم
وسترون منا ما يسركم وهذا بطريقكم قد
تحصن في قلعته أفتعرفون للقلعة موضعا فنقاتل
منه وإن فتح الله علينا جعلنا لكم جزءا مما تغنمونه
فقالوا أيها الأمير والله ما نعرف لها موضعا
وإن يوقنا قد سد مسالكها وقطع طرقاتها
وهذا مما نعلمه فعند ذلك وثب رجل من المسلمين
إلى أبي عبيدة يسمى يونس بن عمرو الغساني
وكان له بصيرة بالشام ومدنها وكان لا
تخفى عليه المسالك من طرق الشام فقال
أصلح الله الأمير أتتكلم بما أعرفه فقال تكلم

يا ابن عمرو فأنت عندنا ناصح للمسلمين فقال يونس أيها الأمير
إن الله تعالى فتح أكثر البلاد على يديك وقتل طاغية
الكفر ولم يبق إلا الناس من قرا الدروب فحاصر هذه
القلعة ورتب الخيل وشن الغارة فما لهم زاد يقوم
بهم فلما سمع خالد كلام الغساني تبسم ضاحكا
وقال والله هذا هو الرأي وأنا أشير عليك برأي آخر
أنك تزحف نحو القلعة فلعل الله عز وجل أن يفتحها
في وقتنا هذا فإننا نخشى إن طال بنا المقام عليها أن
تعطف علينا جيوش الروم فيحولون بيننا وبينها قال
له أبو عبيدة لقد أشرت برأي سديد ثم أمر
أبو عبيدة بالزحف إلى القلعة وتجردت الفرسان
واختلطت العبيد والسادات وافترقت القبائل
وتجاوبوا بالأشعار وتداعوا بالأنساب قال
مسروق بن مالك البلوي فوالله ما رأيت في قتال
الشام في حصونهم يوما كان أشد من ذلك

اليوم ولقد برزنا إليهم في أول الحرب وقد تبادرت
أبطال اليمن وسادات ربيعة ومضر وقصدوا بعضهم
بعضا وجعلوا يطلبون القلعة من حيث لا طريق لها
فإذا علوا نحوها أخذتهم الحجارة من كل جانب
ومكان ورموهم بالمناجيق والعرادات
وكنت أنا وأصحابي أقرب الناس إلى الأرض
فأسرعنا راجعين على أعقابنا وبعضنا يدفع بعضا
لا نظن أن ينجو منا أحد ووقعت الحجارة في المسلمين
فجرحت خلقا وقتلت آخرين وكان من جملة
من قتل يوم حصار قلعة حلب عامر بن الأسقع الرا جي
ومروان بن عبيد الربعي وحسان بن حنظلة الربعي
وسلمان بن عوف العامري وعطاف بن سالم الكلابي
وسراقة بن مسلم العدوي وعاصم بن تداح العدوي
وسوار بن مالك العدوي وجملة من قتل ذلك
اليوم من بني ربيعة ورجل من آل عامر ورجل من بني

كلاب وسبعون من بني عدي قال مسروق بن
مالك والله لقد كنا بعد ذلك بسنين نرى كثيرا من
الناس عرج وشل نعرفهم من قلعة حلب فعند ذلك
نصب أبو عبيدة رايته بإزاء المدينة وجعل ينادي
بالمسلمين اجتمعوا إلي رحمكم الله فلما اجتمعوا من
حوله قال أيها الناس إنكم قاتلتموهم اليوم على
غرة فادفنوا الشهداء وشدوا كل من به جرح
فابتدرت الناس لدفن الشهداء وقد فرحت الروم
بهزيمة العرب وما قد نزل بهم فعند ذلك قال
يوقنا لأصحابه إن العرب لا تدنوا من القلعة
بعد هذا اليوم فوحق المسيح لأكيدنهم ولأهبطن
إلى عسكرهم قال الواقدي ولقد حدثني
عبد الله بن سليمان الدينوري وكان ينقل
أخبار الشام وفتوحه وكان من ثقات المسلمين
قال حدثني أن يوقنا انتخب ألفين فارسا من أبطال

قومه وأمرهم بالنزول ليلا فنزلوا من القلعة
فنظروا إلى عسكر المسلمين والنار تشعل في جوانبه
فجعل يدور حول المسلمين حتى نظر طرفا من المسلمين
قد خمدت نيرانهم وكانوا بادية اليمن مثل
مراد وبني كعب قال صفوان بن عبد الله وكنا تلك
الليلة غاديين من عدونا آمنين بكرتنا وقد
غفل حرسنا فلم نشعر إلا بطماطم الروم وقد
هجموا علينا ووضعوا فينا السيف فكان النجيب
منا من استوى على ظهر جواده وطلب البر وقد
وقعت الحيلة على عسكر المسلمين والقوم ينادون
النفير النفير دهينا ورب الكعبة والناس
يهرعون إلى خيمة أبي عبيدة وهم يقولون
كبسنا يوقنا في ظلام الليل فعند ذلك ركب
أبو عبيدة في الرجال وجعل يدور حول العسكر
فظن صاحب الروم أن المسلمين قد لحقوه فنادوا

من أخذ شيئا يرميه ويطلب النجاة لنفسه قال عبد الله
ابن صفوان فأخذت الروم من المسلمين خمسين رجلا
من أخلاط اليمن وأكثرهم من حمير وأقبلت
الروم يحمون بعضهم بعضا وهم يطلبون القلعة
فلما نظر خالد إلى ذلك حمل وحمل معه أصحابه
فاقتطع من الروم مائة رجل ووضع فيهم السيف
فقتلهم ولما وصلوا أصحاب يوقنا إلى القلعة فتح
لهم وأدخلهم فلما أضاء الفجر وطلعت الشمس
ادعا يوقنا بالخمسين الأسارى من المسلمين فعرضهم
إلى موضع تسمعو لهم المسلمون وينظرو لهم وهم
موثوقون بالكتاف فلما أوقفهم أمام المسلمين
ضرب اعناقهم وعجل الله بأرواحهم إلى الجنة
رضي الله عنهم فلما نظر أبو عبيدة إلى ذلك
أمر مناديا ينادي في عسكره عزيمة من الله
ورسوله ومن أبي عبيدة على رجل وكل حرسه

لغيره ولا يحرس الرجل الا نفسه ولا يتكل أحد على
أحد فأخذ القوم حذرهم وأقبل يوقنا يريد مكيدة
أخرى بالمسلمين وكانت جواسيسه يأتوه بالأخبار
وهم من العرب المتنصرة فبينما يوقنا مع أصحابه
إذ أقبل عليه رجل من جواسيسه وقال له أيها البطر يق
إن أردت أن تكيد المسلمين فهذا يومك
قال يوقنا وما عندك قال إن العرب لهم علوفة
في وادي قطنان وقد صالحوا أهله وقد رأيت معهم
جمالا وبغالا ومعهم طايفة منهم وعليهم العدد
وبأيديهم الرماح وهم يقصدون الوادي في
طلب العلوفة وهم قليلون فلما سمع يوقنا
ذلك من جاسوسه اختار له ألف فارس من أصحابه
ومن أبطال قومه وقال لهم أصلحوا سلاحكم
فوحق المسيح لأطبقن على العرب الأفق فلما
أظلم الليل فتح لهم يوقنا باب السر فخرجوا

والجاسوس أمامهم يدلّهم على الطريق إلى أن مرّوا
براعٍ يرعى الأبقار فقالوا له مرّ بك أحدٌ من العرب
قال نعم قد مضوا والشمس قد أشرقت وهم مائة
فارسٍ ومعهم بغالٌ وحميرٌ وجمالٌ فقالوا له
كيف سلمت بقرك منهم قال الراعي إننا من
أهل هذا الوادي وأهل هذا الوادي صلحٌ مع العرب
قالوا له أخبرنا على أيّ طريقٍ أخذوا قال
هكذا وأومأ بيده إلى الشرق وسار البطريق
بمن معه إلى أن أصبح الصبح وقد أشرفوا على خيل
المسلمين وكان على خيل المسلمين أميرٌ يقال
له مناوش ابن الضحاك الطائي فلما نظر مناوشٌ
إلى الروم قال لأصحابه يا بني العربان هذا
بطريقٌ من بطارقة الروم أقبل إلينا فجاهدوا
في أعداء الله واصبروا واثبتوا فلكم على الله
الجنة ثم حملوا عليهم وركبهم العدوّ بخيله

ورجله واقتتلوا قتالاً شديداً وأقبل مناوش بن
الضحاك وغيلان بن مشاور والغطريف بن ثابت
ومنيع بن عاصم وكهلان بن مرّة ومطر ابن حمير
وسنان بن عوف وبشر بن سراقة وشيبة بن
الأسلع ومنهال بن شكر والجام بن عقيل وميسرة
ابن نافع وحنظلة بن ثابت ومنيع بن عاصم وكهلان
ابن مرّة ومطر بن حميي وسنان بن عوف وبشر
ابن سراقة وشيبة بن الأسلع ومنهال بن شكر
والجام بن عقيل وميسرة بن نافع وحنظلة بن ماجد
ومناوش بن سليط وربيعة بن رافع ومرّة بن ماهر
ونوفل بن عدي وعطا ابن يسار وعقال بن جماهر
وسليمن بن جحاف وفضيل بن ثابت والأقرع بن
زارع ومعيط ابن عامر وكان من جملة من قتل
من المائة ثلاثون رجلاً وملكت الروم ما
كان مع المسلمين من الدواب والإبل ورجع

المسلمون منهزمون فقال البطريق لأصحابه هذه الطوال
الأعناق انحروها وخذوا الدواب وما عليها ثم
قال لهم اطلعوا الجبل واختفوا عن أعين العرب
فإذا أظلم الليل طلعنا القلعة فعند ذلك عمدت
الروم إلى الإبل نحروها وأرموا ما كان على
ظهرها وعطفوا بالدواب وهي محملة نحو الجبل
إلى قريته فأقاموا فيها بقية نهارهم إلى الليل
وجعلوا لهم ديدبانا يحرسهم من العرب قال
معون بن الصباح الطائي وكنت في القوم لما
قتل عمي مناوش وبقينا في قلة وقد دهمتنا خيل
الروم فلما نظروا إلى كثرة الروم أخذنا أنفسنا
ورجعنا إلى جيش المسلمين والخيل تتقاطر في
أثرنا فابتدر إلينا أبو عبيدة وقال لنا ما وراكم
قلنا له والله ورانا الحرب والقتال والله لقد
قتل الأمير مناوش ومعه خلق كثير وأخذت

الروم ما كان معنا من الدواب والزاد قال
أبو عبيدة ومن هذا الذي دهاكم وقد حاصرنا
الروم قالوا لا علم لنا غير أن بطريقنا أشرف
علينا في خلق كثير ولا نعرف من أين أتانا
فقتل أبطالنا وأخذ ما كان معنا فقال
أبو عبيدة أنت لها والمعد لمثلها وإني واثق بالله
وبك مع أني أستخير الله في كل الأمور خذ
معك من أردت من المسلمين وسر إلى موضع
المعركة وقص آثار القوم الذين قتلوا
أبطالنا وفرساننا فلعلك أن تأخذ بثار المسلمين
وإننا قد صالحنا أهل هذا الوادي وإننا لا
نؤذيهم إلا إن مكروا بنا ولا ننقض عهدهم
إلا بمكر فعند ذلك أسرع خالد بن الوليد
إلى خيمته ولبس سلاحه واستوى على متن
جواده وهم بالمسير وحده فقال أبو عبيدة

إلى أين يا أبا سليمان قال خالد أسارع إلى ما أمرتني
به فقال تمضي وحدك بل خذ معك من المسلمين
من أردت فأخذ خالد معه من فرسان المسلمين مائة
فارس وسار إلى أن وصل إلى موضع المعركة
ونظر إلى القتلى مطروحين وحولهم أهل ذلك
الوادي وهم يبكون خوفا على أنفسهم من
العرب بأن يطلبونهم بالذين قتلوا في واديهم
فلما وصل إليهم خالد تصارخوا إليه وألقوا أنفسهم
بين يديه فقال خالد لترجمان كان معه ما
يقولون هاؤلاء قال الترجمان إنهم خايفون من
دم أصحابك ولم يعلموا من قتلهم فاستحلفهم
خالد أنهم لم يعلموا من قتلهم فحلفوا له قال
فمن ذا الذي وقع على أصحابنا قالوا بطريق من
أصحاب يوقنا في ألف فارس وإن ليوقنا في عسكركم
عيونا يأتونه بأخباركم في كل يوم قال

خالد فالبطريق أي طريق أخذ قالوا هذه الطريق المتعالية
ورأيناهم يطلبون الجبل قال خالد إن القوم علموا
أن خيلنا تطلبهم فانحرفوا عن الطريق حتى يظلم
الليل فيرجعون إلى القلعة فأرخوا الأعنة وخالد
يقدمهم وقد أخذ معه رجلا من المعاهدين يدل
بهم على الطريق ويقفوا أثرهم فلما دخل خالد
في الطريق قال للمعاهدي هل لهم طريق غير
هذه قال لا فنزل خالد بمن معه في الوادي وهم
يرقبون الطريق فلما ذهب من الليل قليل أحسوا
بوقع حوافر الخيل التي للروم والبطريق أمامهم
والخيل من ورائهم وهو يحثهم على المسير والمشي
السريع فعند ذلك صاح خالد بن الوليد بمن معه
صيحة شديدة وتاركأنه الأسد وأصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ورائه وما كان
لخالد طلب غير بطريقهم وظن أنه يوقنا واستقبله

وضربه بها ضربة شقه بها نصفين وعجل الله بروحه إلى النار
ووضع المسلمون السيف فى أصحابه فلم ينج منهم أحد
وحاز المسلمون الأسارى ودوابهم وما كان معهم
ورجعوا إلى أبى عبيدة وكان منتظرا لقدومهم
فلم يشعر إلا والمسلمون قد أقبلوا عليه والأسارى
معهم وهم يهللون ويكبرون فتلقوهم المسلمون
بالتهليل والتكبير وكان عدة الأسارى من
الروم ثلاثمائة أسير وعدة الرؤوس سبعمائة رأس
فأعرض أبو عبيدة على الأسارى الإسلام فأبوا
وقالوا نعطيك الفدا فقال خالد ضرب رقابهم
مصلحة ونوهن به عدونا فسمع أبو عبيدة كلام
خالد وضرب رقابهم ويوقنا وأصحابه ينظرون
إليهم من على سور القلعة فلما ضربت أعناقهم
قال خالد لأبى عبيدة إننا كنا نظن أن نحن
محاصرون وإذا نحن المحاصرون والرأى أن تأمر

المسلمين بالتيقظ وأن تجعل على كل طريق حرسا وأن
تضيق عليهم ما استطعت فهؤلاء لا يرقبون إلا غرتنا
وغفلتنا قال له أبو عبيدة جزاك الله خيرا يا أبا سليمان
عن مشورتك فلما كان بالغداة صلى أبو عبيدة
بالناس صلاة الصبح وانفتل من صلاته وادعا
بعبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق رضى الله عنه
وضرار ابن الأزور وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
وقيس بن هبيرة وميسرة بن مسروق وفرقهم
من حول القلعة وأمرهم بحفظ الطريق والمسالك
حتى لو طار طاير علموا به فلما طال حصارهم للروم
ضجرت الناس من طول مقامهم فأمر أبو عبيدة
الناس بالرحيل أميالا عن القلعة بعد جيش
المسلمين عن المدينة أميالا ويوقنا لا ينزل
من القلعة ولا يخرج منها قال أبو عبيدة
يا أبا سليمان إنى أظن أن لعدو الله عيونا فى

عسكرنا يأتوه بأخبارنا فلعلك أن تجول جولة فإنه
لا يخفى عليك أمرهم إن شاء الله ولعلك تقع بجاسوس
الروم فركب خالد وأمر الناس أن يدوروا ويفتشوا
وهو معهم وأمرهم أن يقبضوا كل من لقوه فبينما
خالد في طوافه إذ نظر إلى رجل جالس من العرب به
وبين يديه عباءة يرفوها فجعل خالد يلاحظه فاستر ا
وأنكر عليه فسلم عليه وقال يا أخا العرب من أي
الناس تكون فأراد أن ينكر قبيلته فجرى لسانه
بالحق فقال أنا من غسان فقبض عليه خالد وقال
يا عدو الله أنت من متنصرة العرب قال لا والله ما
أنا إلا مسلم فأقبل به خالد إلى أبي عبيدة وقال
أيها الأمير قد رابني أمر هذا وما رأيته قبل هذا
اليوم إلا هذه الساعة قال اختبره يا أبا سليمان
قال كيف أختبره قال بالصلاة والقرآن قال
له خالد قم فصل ركعتين واجهر بالقراءة فيهما

فلم يدر المتنصر ما يقول له خالد قال له أنت جاسوس
عدونا واستخبره فأخبرهم أنه عين عليهم قال له خالد
أنت وحدك قال لا نحن ثلاثة مضى اثنان إلى القلعة
وأنا بقيت أنظر ما يكون منكم قال له أبو عبيدة
فانظر أيما أحب لك القتل أو الإسلام ليس
غيرهما شيء فقال الرجل أنا أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمدا رسول الله ورجع أبو عبيدة إلى
حصار قلعة حلب وأقام عليها أربعة أشهر وقيل
خمسة أشهر ما من يوم إلا ويلقى المسلمون فيه
حربا شديدا وأبطا خبر أبي عبيدة عن عمر بن
الخطاب فكتب إلى أبي عبيدة كتابا يقول
فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن
الخطاب إلى عامله أبي عبيدة ابن الجراح سلام عليك
فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأعلم يا أبا

عبيدة أن إبطاء خبرك وقلة مراسلتك إلي يكثر
قلقي ويضني جسدي على إخواني المسلمين وما يمر
ليل ولا نهار إلا وقلبي عندك فلم يأت منك خبر
ولا رسول وكأنك يا أمين الأمة لا تكتب لي
إلا بالفتح والغنيمة واعلم يا أمين الأمة أني داع
لكم وقلبي متعلق بكم كالمرأة الحنينة
على ولدها والسلام عليك وعلى من معك من المؤمنين
ورحمة الله وبركاته وبعث الكتاب إلى أبي عبيدة
فقرأه وقال يا معاشر المسلمين إذا كان أمير
المؤمنين داعيا لكم وراضيا عنكم فإن الله
تعالى ينصركم ثم إن أبا عبيدة كتب جواب
الكتاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أبي
عبيدة عامر ابن الجراح إلى أمير المؤمنين عمر
ابن الخطاب سلام عليك فإني أحمد الله الذي
لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه

وسلم

وسلم واعلم يا أمير المؤمنين أن الله عز وجل قد فتح علينا
قنسرين وشننا الغارة على أرض العواصم وقد فتح
الله مدينة حلب صلحا وقد عصى بطريقها يوقنا
إلى قلعته وفي القلعة خلق كثير وقد كادنا
مرارا وقتل منا رجالا رزقهم الله الشهادة وقد
أردت الرحيل عنه وأطلب البلاد التي بينه وبين
أنطاكية وأنا منتظر أمرك والسلام عليك
ورحمة الله وبركاته ثم ختم الكتاب وبعثه
مع رجلين أحدهما عبد الله بن قرط اليماني والآخر
جعدة بن حيران اليشكري وجعلا يسيران سيرا
حثيثا أياما وليالي وجعلوا يجدون في السير إلى
أن قطعوا أرض خفان إلى صكاصكة وهي
حصون العرب قريبة من سماء فلما وصلوا إليها
عارضهم فارس راكب على فرس وعليه درع
سابغ وبيضة عادية تلمع في شعاع الشمس

مُعْتَقِلًا بِرُمْحٍ كَأَنَّهُ بَرَزَ إِلَى الْقِتَالِ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمَا قَصَدَهُمَا
قَالَ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ قُرْطٍ لِجَعْدَةَ بْنِ خَيْرَانَ يَا وَيْلَ
عَدُوِّكَ مَا تَنْظُرُ إِلَى هٰذَا الْفَارِسِ الَّذِي عَارَضَنَا فِي مِثْلِ
هٰذِي الطَّرِيقِ قَالَ لَهُ جَعْدَةُ بْنُ خَيْرَانَ لَيْسَ فِي هٰذِهِ
الْأَرْضِ مَنْ رَفَعَ عَمَدًا وَلَا دَقَّ وَتَدًا إِلَّا وَهُوَ مَعَنَا
فِي شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا قَرُبَ
الْفَارِسُ مِنْهُمَا سَلَّمَ عَلَيْهِمَا وَقَالَ لَهُمَا مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا
وَإِلَى أَيْنَ قَصْدُكُمَا قَالَا لَهُ أَمَّا نَحْنُ فَرَسُولَانِ
مِنْ عِنْدِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ
ابْنِ الْخَطَّابِ فَمَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ قَالَ أَنَا هِلَالُ
ابْنُ زَيْدٍ الطَّائِيُّ فَقَالَا لَهُ مَا لَنَا نَرَى عَلَيْكَ آلَةَ الْحَرْبِ
قَالَ إِنِّي خَرَجْتُ فِي قَوْمِي وَجَمَاعَةِ أَصْحَابِي
نُرِيدُ الشَّامَ لِلْجِهَادِ فِي طَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ طَائِعِينَ
لِكِتَابٍ وَرَدَ عَلَيْنَا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فَلَمَّا رَأَيْتُكُمَا مِنْ بَطْنِ الْبَرِّيَّةِ

قَصَدْتُكُمَا لِأَنْظُرَ مَا أَمْرُكُمَا وَلِي أَصْحَابٌ مِنْ وَرَائِي
مُقْبِلِينَ ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيْهِمَا وَسَارَ وَإِذَا بِالْخَيْلِ قَدْ أَشْرَفَتْ
وَالْإِبِلُ قَدْ أَقْبَلَتْ تَتْبَعُ هِلَالَ بْنَ زَيْدٍ إِرْسَالًا إِلَى
أَنْ لَحِقَا بِهِ وَأَخْبَرَهُمْ بِقِصَّةِ صَاحِبَيْ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَرِحُوا بِذٰلِكَ وَسَارَ الْقَوْمُ يُرِيدُونَ
الشَّامَ وَأَمَّا عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ قُرْطٍ وَجَعْدَةُ بْنُ خَيْرَانَ فَإِنَّهُمَا
وَصَلَا إِلَى الْمَدِينَةِ وَدَخَلَا مَسْجِدَ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَلَّمَا عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ
وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ وَنَاوَلَاهُ كِتَابَ أَبِي عُبَيْدَةَ فَلَمَّا
قَرَأَهُ اسْتَبْشَرَ وَقَالَ اللّٰهُمَّ اكْفِ الْمُسْلِمِينَ شَرَّهُ
فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَمَرَ عُمَرُ مُنَادِيَهُ أَنْ يُنَادِيَ فِي النَّاسِ
الصَّلَاةَ جَامِعَه فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَرَأَ عُمَرُ عَلَيْهِمْ
كِتَابَ أَبِي عُبَيْدَةَ فَبَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ إِذْ وَفَدَ عَلَيْهِ
رَكْبٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَأَقْيَالُ الْيَمَنِ مِنْ رَدْمٍ ذَاتٍ
وَسَبَأ وَمَارِبَ يَسْأَلُونَ عُمَرَ أَنْ ان يُنْفِذَهُمْ إِلَى الشَّامِ

قال لهم عمر وكم عددكم قالوا نحن أربعمائة فارس
وثلاث مائة مطية مردفين ومعنا أناس يمشون
وليس لهم ركايب فإن أحضر أمير المؤمنين لهم
ركايب يركبون عليها ويحملون أثقالهم حتى
نصل إلى عدونا فقال عمر رضي الله عنه وكم
يبلغ الذي معكم مائة وأربعون رجلا قال عرب
قالوا عرب وموال أذنوا لهم ساداتهم بالجهاد والمسير
إلى عدوهم فعند ذلك ادعا عمر بعبد الله وقال له
امض إلى إبل الصدقة وسلم لهم منها سبعين بعيرا
وقل لهم جدوا إلى عدوكم وإلى نصرة إخوانكم
ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى
أبي عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح
سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو
وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم

أما بعد فقد ورد كتابك علي مع رسلك فسرني ما
سمعت من الفتح وعلمت من قتل الشهداء وأما ما
ذكرت من انصرافك عن قلعة حلب إلى النواحي
التي قرب انطاكية فهذا بئس الرأي أتترك
رجلا ملكت دياره ومدينته ثم ترحل عنه
فتسمع أهل الضواحي والبلاد بأنك ما قدرت
عليه فهذا رأي فيضعف رأيك ويعلوا ذكره
بما صنع ويطمع من لم يطمع وترجع إليك الجيوش
وتكاتب ملوكها فإياك أن تبرح حتى يحكم
الله وهو خير الحاكمين فبث الخيل في السهل
والسعة واكفها في المضايق والجبال ومن المغيرات
إلى حد الدروب ومن صالحك منهم فاقبل
صلحه ومن سالمك سالمه والله خليفتي عليك
وعلى جميع المسلمين وقد نفذت إليك كتابي
هذا ومعه أهل مشارق اليمن ممن وهب نفسه

لله ولرسوله ورغب في الجهاد في سبيل الله وهم
عرب وموال رجال وفرسان والمدد يأتيك متواليا
إن شاء الله تعالى ثم طوى الكتاب وختمه
بخاتمه ودفعه إلى عبد الله بن قرط اليماني
وأمر المسلمين الوافدين أن يخرجوا معه
وسار عبد الله بن قرط وجعدة بن خيران وجعلوا
القوم يجدون في المسير ومع ذلك يسألون
عبد الله بن قرط وصاحبه عن بلاد الشام وفتح
البلدان وقتال الروم إلى أن سألوهم عن
مستقر المسلمين وأين عسكرهم فقال لهم
عبد الله بن قرط إن المسلمين محاصرون قلعة
حلب وفيها عظيم من عظماء الروم ومعه أعلاج
من قومه وقد تحصن في قلعته قالوا له يا ابن قرط
كيف عجز عنها المسلمون ولم يخلوها في صالح
من أعمالهم قال لهم عبد الله بن قرط يا معاشر

العرب إننا لم نر من بعد وقعة اليرموك رجلا أشجع من
هذا وقد قتل رجالا وجندل أبطالا وإنه يغير
على العسكر في أوقات الغفلة فيقتل وينهب
ويرجع إلى قلعته وذلك أن المسلمين له محاصرون
ومنهم من هو خائف منه لبغيه وكان يسمع كلامه
ويفهم خطابه مولى من موالي بني طريف يقال له
دامس ويكنى بأبي الهول مشهور باسمه وكنيته
وكان أسود كثير السواد بصاصا كأنه
النخلة السحوق شجاعا قد شاع ذكره ونما أمره
وعلا قدره في بلاد كندة وأودية حضر
موت وجبال مهرة وأرض السحرة وأخاف
البادية ونهب أموال الحاضرة وكان مع
ذلك لا تدركه الخيل العتاق فلما سمع
دامس ذكر يوقنا وما يفعل بالمسلمين قال
لعبد الله بن قرط دامسا يقول هذا القول

قال في نفسه يا ابن السوداء تشك في نفسك أما لا لا
تدركها وشيئا لا تبلغه ويحك ما تسمع أن أبطال
المسلمين وفرسان الموحدين له محاصرون ولأ
صحابه مقاتلون ومع ذلك لا يقدر له أحد على
شر وقد أكاد ملوك الروم وقهر جبابرة الأرض
فقال دامس وقد تلزم غيظا على عبد الله بن قرط والله
لولا ما يلزمني منك من ذمة الإسلام لبدأت بك
قبله فاحذر أن تزدري أحدا من الرجال فاسأل
عن فعال من رأيته من أهل حصن موت من عساكر
قاتلتها وجماعة فرقتها ورجال قتلتها وأموال
أفنيتها وفلاة قطعتها ولا يضام لي جار ولا يؤخذ
لي بثار ولا يلحقني عار وإني بحمد الله كرار
غير فرار ثم تركه مغضبا وسار أمام الناس
وإن قوما من العرب قالوا لعبد الله بن قرط
يا أخا العرب رفقا بنفسك والله إنك لمخاطب

لرجل يقرب منه البعيد ويهون الله عليه الأمر الشديد
لا يهوله الرجال ولا يفزع من الأبطال يدرك من
يطلب ولا يفوته من يهرب فقال له عبد الله لقد
أطلتم في وصفكم نرجو أن يجعل الله فيه خيرا للمسلمين
وفرجا ثم أخذت القوم يجدون في المسير حتى قدموا
على أبي عبيدة رضي الله عنه وهو نازل بجيش المسلمين
على قلعة حلب فلما أشرف القوم على جيش المسلمين
أخذوا في زينتهم وأشهروا سلاحهم ونشروا
راياتهم وكبروا بأجمعهم فأجابهم أهل العسكر
بالتكبير والتهليل من كل جانب وناحية واستقبلهم
أبو عبيدة وسلم عليهم ونزل كل قوم عند قبيلتهم
وبني عمهم وذلك أن يوقنا ما كان يقاتل المسلمين
ولا يخرج إليهم إلا في الليل وما كان يهجم
على المسلمين إلا في وقت غفلتهم فلما نظر المسلمون
الوافدون إلى شدة الحرس وضجة التكبير وشدة

حذرهم أقبل دامس وأهله إلى بني عمه من الطريق
وقال لهم والله أنتم المحاصرون لا محالة قالوا وكيف
ذلك قال دامس لأن عدوكم في قلعته وأنتم في
فضا من الأرض لا عدو يفزعكم ولا عسكر
بإزائكم فما هذا الخوف وما هذا الفزع قالوا
له يا أبا الهول إن صاحب هذا العلج علج مشوم
يترقب غرتنا ويغير علينا ويقتل منا فبينما هم
في الخطاب مع دامس وإذا بصيحة عظيمة قد
وقعت في عسكر المسلمين فوثب دامس وقد
انتضا سيفه وتنكب بحجفته وطلب الموضع الذي
فيه الضجة وإذا يوقنا قد وجد غفلة وقد هجم
على المسلمين برجال من قومه فلما نظر دامس
إلى الروم هجم عليهم وجعل يقول ـــــــ
أنا أبو الهول واسمي دامس أكر في جمعهم مداعس
قال الواقدي وجعل دامس يضرب في أعراض

٤٥ الروم وكان معه رجال من قومه من بني طريفة
فلما نظر يوقنا إلى ما نزل به تقهقر إلى ورائه وقد
قتل من رجاله ما يتا رجل في تلك الليلة ودامس رضي
الله عنه يكر فيهم كرا ويتبعهم إلى رأس
القلعة وكندة من ورائهم فناداهم أبو عبيدة
عزيمة مني عليكم لا يتبعهم أحد منكم
فقالت الناس يا أبا الهول الأمير يعزم عليك
وعلى من معك ويأمرك بالرجوع فرجع دامس
ورجعت الناس وقد قالوا يا أهل كندة قتالا
حسنا والناس قد فرحوا بمن قتل من المشركين
فلما أصبحوا اجتمعت الناس للصلاة مع أبي عبيدة
فلما قضيت الصلاة وتفرقت الناس ولم يبق إلا
نفر يسير فجعلوا يتذاكرون ليلتهم فقال
خالد بن الوليد أصلح الله الأمير لقد رأيت
البارحة كندة وقد ابلت بلاء حسنا وقد ثبتت

رجالها وتقدمت أبطالها وأزالت عنه حمية الروم
ولقد سمعتهم يقولون أحسن دامس أجاد أبو الهول
فقام إلى أبي عبيدة رجل من أهل كندة يقال
له سراقة بن مرداس ابن يكرب الهندي
فقال أصلح الله الأمير إن دامسا أبو الهول
وهو مولى لبني طريف قدم مع هؤلاء الوفد
الذين وردوا بالأمس علينا وهو رجل يعجز الرجال
ويفتك الأبطال ويذل الأقران لا يصول له جمع
ولا يصعب عليه غارة قال أبو عبيدة لخالد أما
تسمع كلام سراقة بن مرداس في عبد هم
قال خالد أصلح الله الأمير إنه لصادق وقد
سمعت بذكره وأخبرت عن شجاعته ولقد
أخبرني رجل يقال له نعيم بن عنتر المهدي أن
دامسا هذا غار عليهم مرة وهم على ساحل البحر
حلة فيها سبعون رجلا من آل مفرة وكان

دامس هذا يطلبهم لأجل ثار كان له عند القوم وكانوا
يخافون منه ومن شره وكانوا مع ذلك يقصدون
بأموالهم ومواشيهم إلى أطراف الجبال وسواحل
البحر حذرا من مكره وكان مع ذلك يسأل
عن أخبارهم فلما صح خبرهم عنده أنهم نازلون
على البحر استصرخ بقومه بالغارة عليهم فلم
يفعلوا وكان مع ذلك خبيرا بالبلاد سهلها
ووعرها فلما أيس من قومه دخل إلى جنابه واحتمل
رزمة على عاتقه فلما نظروا أهل الحجاز إلى الرزمة
على عاتقه أقبل إليه نفرا منهم وقالوا له إلى أين
يا أبا الهول وما الذي نراه معك فقال يا قوم أريد
الغارة على بني الشعرا وأخذ الثار وأنفي عني
العار فقالوا له أهل الحي ما رأينا أعجب من رأيك
أنت تعلم أن بني الشعرا في سبعين رجلا فمن يريد
يغير عليهم يأخذ رزمة وثيابا ما سمعنا هذا إلا

منك في هذه الساعة وإننا نراك أن تقصد خوذا وكانت
خوذا أمة لبني جساس من الحضارمة وكانت
بقرية من قرى حضرموت يقال لها السقلة وكان
دامس يهواها وكان كلما يأخذ من الأموال
والخيل وغيره يدفعه جميعه إليها ولا يعظم عليه
كثرته فظن القوم أنه ماض إليها فقال له
إنه باطل ما تظنون وسوف تعلمون أني ما أقول
إلا الحق فتركوه قومه ورجع وسار وحده
حتى مر على مراعي قومه فأخذ راحلة من إبله وأخذ
سيفه وحجفته ووطا بالرزمة على كور الناقة
من تحته وجعل يسير يومه وليلته حتى إذا كان
في آخر الليل عطف بالراحلة إلى بعض الأودية
فحل عنها رحلها وأبركها وعقلها بفاضل
زمامها وتورها ترعى وهي معقولة ثم تشرف
من بين حجرين وكان قريبا من الحي وكان

يخاف أن يدري به أحد فلما مضى النهار وأقبل
الليل أقبل إلى راحلته فحلها واستوى على كورها
وسار حتى مضى من الليل أكثره أشرف على
نيران القوم فعدل بناقته إلى جانب الوادي
وكان في الوادي شجر من الطلح والسدر فأبرك
ناقته وحزم شدقها لئلا ترغى فيسمع القوم لها
فلما عقلها عمد إلى الرزمة فحلها وأخذ منها
أزرا وأخذ من تلك الشجرة عصيا فينصب العصاة
ويسندها بالحجارة وينشر عليها بقدر قامة
الرجل ولم يزل حتى أقام أربعين عودا وجعلها
صفا واحدا مقابل أبواب البيوت ثم إنه لبس
سلاحه وتنكب بحجفته واتزر بإزار أحمر
وهبط من ذلك الشرف وقصد الحي ودار بين
خيامهم وقد مضى من الليل أكثره ثم أمهلهم
إلى طلوع الفجر فلما قرب منهم صاح فيهم

وقال قد أتاكم أبو الهول ولقد أخذتم من البر
والبحر ثم جعل دامس ينادي يا طريف يا كندة
فلما وقع صوته في أسماعهم دهلت رجالهم وصاحت
نساؤهم وولت القوم من بين يديه عن البيوت
هاربين الى نحو الجبل وهو من خلفهم فلما راوه
وحده شجع بعضهم بعضا ورجعوا اليه يقاتلونه
وقد طمعوا فيه فجعل يكر عليهم ويرجع عنهم
ويقتل رجلا بعد رجل فلما نظروا إلى شدة بأسه
وقوة مراسه أرادوا أن يسبقوه إلى الشرف ليعلوا
فوقه فلما نظر إليهم وقد قاربوا الأعواد جعل
يخاطبهم ويقول يا آل كندة يا آل طريف
قفوا مكانكم أنا أكفيكم في القوم
فمد القوم أبصارهم فنظروا إلى الثياب على
الأعواد ظنوا أنهم رجال ولوا راجعين نحو البحر
ودامس يقول للأعواد لا يتزحزح أحد منكم

من مكانه وأنا أكفيكم في القوم فرجعوا آل
مهرة ناكصين نحو البحر هذا قد أردف زوجته
وهذا أمته وهذا ما قدر عليه ورجع دامس إلى الحي
فلم يبق إلا شيخا كبيرا والعبيد والصبيان
فأمر العبيد أن يقربوا الجمال ففعلوا ذلك وجعل
على الجمال الأثقال وكتف العبيد وأخذ كلما
في الحي وقصد أهله فلما استقام على الجادة تأخر
عنهم ومر كأنه الريح العاصف إلى ورائه وأخذ
ما كان على الأعواد من الثياب لئلا يرجعوا أهل
الحي فيروها فيعلموا أنها حيلة عليهم وسار دامس
حتى لحق بقومه فلما نظرت أهله فعاله وما صنع
عجبوا منه فلما سمع أبو عبيدة ذلك من خالد بن الوليد
قال يا ابن مرداس أتى لنا بعبدكم حتى
نراه ونسمع خطابه فما كان غير بعيد حتى أتى
به سراقة بن مرداس فقال له أبو عبيدة أنت

دامس فقال نعم أصلح الله الأمير قال أبو عبيدة لقد
بلغني عنك عجايب وأنت أهل لذلك لأنك جزل من
الرجال وأعلم أنك وقومك تقاتلون في بلاد سهلة
لا تعرفون الجبال ولا القلع ولقد اقتحمت البارحة
أتا دار أعداء الله فارفق بنفسك من هذا البطريق يوقنا
قال دامس أصلح الله الأمير اعلم أنني قد
غزت على آل مصرة مرات وأخذت أموالها وهي
جبال عاليات وعرات وما هذا الجبل بأمنع من
تلك الجبال فقال أبو عبيدة إني أراك نجيبا
فهل حدثتك نفسك بشيء من أمر هذه القلعة
فقال دامس أصلح الله الأمير اعلم أنني لما قدمت
عليك رأيت في طريقي رؤيا فقال له أبو عبيدة وما
الذي رأيت قال رأيت كأنني سائر في وطأة
من الأرض وأنا مجد لقومي وكأنني قد
انقطعت عنهم وقد سبقوني إلى غارة أراد وها

على قوم فبينما أنا مجد في سيري أشرفت عليهم وإذا هم
حائرون لا يستقدمون ولا يستأخرون فناديتهم
يا قوم ما شأنكم فقالوا لي القوم أما تنظر إلى هذا
الجبل الذي عارضنا في آخر هذه الطريق وليس لنا فيه
مطلع ولا منفذ فقلت لهم أما ترون إلى قلة الجبل
قالوا هيهات وليس لنا وصول إليها قلت من أي شيء
قالوا إن فيها ثعبان عظيم لا يمر به أحد إلا قتله فقلت
ألا تقتحموا إليه بأجمعكم فقالوا إنا لا نقدر لأن
النار تخرج من أنفاسه قلت لهم فالتمسوا طريقا من
وراء ظهره فقالوا إننا لا نقدر لأنه عظيم الجثة ه
فتركتهم والتمست مكانا فلم ألق إلا مكانا
صعبا فاقتحمته وما ملكته إلا بعد مشقة عظيمة
وأتيت من وراء الثعبان فقتلته وأتيت إلى قومي
فتبعوني فما وصلوا إلا بعد جهد عظيم فاستيقظت
من منامي فرحا مسرورا قال أبو عبيدة خيرا رأيت

وخيرًا يكون يا دامس رؤياك للمسلمين بشارة وللكافرين
خسارة ثم إن أبا عبيدة قام قايمًا ونادا برفيع من
صوته الله أكبر الله أكبر رؤيا حسنة فمن أراد
أن يسمعها فإن تفسيرها فتح للمسلمين إن شاء الله تعالى
فلما اجتمع الناس قام أبو عبيدة فحمد الله وأثنى
عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال معاشر
المسلمين إن الله عز وجل وعدنا في كتابه وعلى لسان
نبيه بالنصر والظفر على الأعداء وما كان الله مخلف
وعده رسله وإني نذرت إن فتح الله هذه القلعة
على يدي أن أصنع من البر ما استطعت وإني وقع
في قلبي أنا ظافرون بهذه القلعة وبمن فيها
إن شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم دلني على ذلك رؤيا هذا الغلام دامس أبي
الهول ثم قبض أبو عبيدة بكفيه على زند دامس
وقال حدث إخوانك بما رأيت فقام دامس وقال

اعلموا يا معاشر السادات إني رأيت في منامي كذا وكذا
وجعل يقص على الناس رؤياه فلما فرغ منها أقبل
المسلمون على أبي عبيدة وقالوا أيها الأمير قد
سمعنا رؤياه فما تفسيرها فقال أبو عبيدة إن
الجبل الذي ذكر أنه عال شامخ شديد الامتناع
فهو دين الإسلام وأما الثعبان الذي رآه وهجم
عليه فهو فرج وفتح يكون على يديه ففرح الناس
بتأويل أبي عبيدة رضي الله عنه ثم قال أيها الأمير
فما الذي تأمرنا به قال آمركم بتقوى الله سرًا
وجهرًا ثم المكيدة لأعداء الله وأعدائكم
ارجعوا رحمكم الله إلى حالكم فأصلحوا ما
تحتاجون إليه فإني أريد غداة غد أنفذكم إلى
أعدائكم ثم تفرقوا بأجمعهم إلى رحالهم فجعل
هذا يحد سيفه وهذا يصلح قوسه وهذا يفتقد
درعه وهذا يتعاهد فرسه ولم يزالوا على هذا

بقية يومهم وليلتهم فلما أصبحوا ادعا أبو عبيدة بدامس
وقال له أيها الرجل المجتهد ما ترا من أمر هذه القلعة
وما الذي عندك من الحيلة فقال دامس أيها
الأمير إنها قلعة عالية مانعة حصينة لا ينفع
في أهلها محاصرة ولا تضيق صدورهم من قتال
غير أني أفكرت في حيلة وأرجوا أن تتم عليهم
قال أبو عبيدة وما هي قال دامس أصلح الله الأمير
أنت تعلم أنه من كتم سره ملك أمره وكانت
الخيرة على يديه فقال له أبو عبيدة وما الذي
تشير به وتعتمد عليه قال دامس ترحل
أنت بجميع العسكر وتنزل بإزاء القلعة
ليظهر لهم منك الحرص والهيبة وأهتم أنا فيما
أحتال به وأرجوا من الله الفتح والنصر ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فأمر أبو عبيدة
مناديه فنادا بالناس الرحيل ورحلوا ونزلوا

بباب القلعة فوقع في قلوب المشركين الرعب
ومشوا إلى بعضهم البعض فقال قوم نقاتلون
وقال آخرون نقعد في قلعتنا ولا يصلون إلينا
فاتفق رأيهم على القتال فقاتل المسلمون
وهم على السور بالمنجنيقات والحجارة وأقاموا
على ذلك يقاتلون ليلا ونهارا وأقام المسلمون
بإزاء القلعة في حصارها بعد أن مر على
دامس سبعة وأربعون يوما ودامس يعمل في
كل يوم حيلة فما وصل إلى ما يؤمله فلما
كان بعد السبعة وأربعون يوما أقبل
دامس إلى أبي عبيدة وقال أصلح الله الأمير
قد عملت في كل يوم حيلة أن أصل إلى القلعة
فلم أجد إلى ذلك سبيلا وقد أفكرت في شيء
نرجوا من الله أن يظفرنا به قال له أبو عبيدة
فما الذي تحتاج إليه فقال دامس أريد

من رجالك من صناديدهم ثلاثون رجلا وتأمرهم
لى بالطاعة وقلة المخالفة ثم جمع إليه ثلاثين
رجلا من أبطال المسلمين فلما حضروا قال أبو
عبيدة يا معاشر المسلمين اعلموا أنني قد أمرت
عليكم دامسا فأطيعوه ولا تخالفوه ولم يكن
هذا احتقارا بكم أن تقولوا أمر علينا عبدا
والله لولا ما يلزمني من تدبير هذا الجيش
لكنت أنا أول من يطيعه فقالوا أيها الأمير
إننا نعلم موضعنا منك ولا نشك في اعترافك
بنا وإن كلامك الأول أثر في قلوبنا وها نحن
بين يديك ولو أمرت علينا علجا أغلفا أطعناه
إذا كان في طاعته نفع للمسلمين فالسمع
والطاعة لله ثم لك أيها الأمير ففرح أبو عبيدة
بمقالتهم ووثق بكلامهم وقال لهم اعلموا
أن نفسي تحدثني أن فتح هذه القلعة يكون

على يد هذا العبد لأنه دقيق الحيلة حسن البصيرة
فسيروا معه وثقوا بالله وتوكلوا عليه وقد تعلمون
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى مولاه
على سائر العرب والأشراف ثم قال
أبو عبيدة يا دامس ما الذي تحب بعد هذا قال
ترحل أنت وجيشك في وقتك هذا ثم تكون
منا على مسيرة فرسخ فتنزل بالمسلمين هناك
وتأمرهم بقلة الحركة وليخفوا أمرهم ما استطاعوا
وتأمر أنت رجلين من النجباء يتجسسوا أخبارنا
من غير أن يعلم بنا أحد ولا يكون معهما
سلاح إلا الخناجر فإذا عاينوا منا ظفرا فليأتيا
إليك ويعلموك بخبرنا وليأتوا بالخيل عاجلا
وليكونا متفرقين ولا يكونا في موضع واحد
فذلك أسلم لهما والله المستعان ثم إن دامسا
قال لأصحابه يا معاشر الفتيان انهضوا بنا

حتى نكمن في هذا الجبل ما دام المسلمون يسيرون للروم
والروم مشرفة عليهم وليكن كل واحد منكم معه
سيفه وحجفته ولا يكن معه سيفا ولا رمحا فلما
كملوا بين يديه لبس لامة حربه وأخذ مزاوده
وساروا وهم يخفون أمرهم حتى وجدوا مغارة
فدخلوا فيها وجلس داميس على باب المغارة قال
الواقدي ثم ان أبا عبيدة أمر المسلمين بالرحيل
وكانت لهم ضجة عظيمة وصيحة هائلة وأشرفت
الروم عليهم من فوق القلعة فنظروا اليهم
يرحلون ففرحوا بذلك وأخذ المسلمون الزعقات
من كل جانب وسار أبو عبيدة حتى غاب عن حلب
وفرح الروم بذلك فقالوا لبطريقهم أيها
السيد افتح لنا الباب حتى نحمل على العرب فلعلنا
ان نأسر منهم أو نقتل فنهاهم يوقنا ولم
تزل العرب كذلك بقية يومهم فلما كان

وقت صلاة العتمة أقبل داميس على أصحابه وقال
من فيكم ينهض الى القلعة ويأتينا منها بخبر أو
يأسر رجلا حتى نستخبره فلم يجبه أحد فناداهم
ثانيا وثالثا فلم يجبه أحد فقال داميس أنا أعلم
أن ما في الجماعة الا من هو ظنين بنفسه ثم قال
داميس أنا لكم الفدا فانظروا كيف تكونون
ثم تركهم وغاب ساعة واذا به قد أتى ومعه علج
فقال لأصحابه دونكم فكلموه فجعلوا يكلموه
وهم لا يعلمون ثم غاب داميس وأتى اليهم بآخر
فجعل يتكلم وهم لا يعلمون ثم غاب داميس
وأتى اليهم بأربعة فسألوهم فلم يعلموا ما يقولون
ثم غاب وأتاهم بثلاثة أخر فلم يكن فيهم من
يعرف بالعربي شيئا فقال داميس لعن الله هؤلاء
ما أشنع لغتهم ثم تركهم داميس وغاب
الى نصف الليل ولم يأت فتعلقوا أصحابه عليه

عليه قلقا شديدا وقال بعضهم لبعض إننا نظن دامسا
قد قتل وأرادوا الرجوع إلى عسكرهم وهم
آيسون مما أملوا وإذا بدامس قد أقبل إليهم
ومعه علج يقوده فتواثبوا إليه يقبلونه ويسألونه
عن إبطائه وقالوا لقد حدثتنا أنفسنا بالعظائم
لإبطائك عنا فما الذي أبطاك عنا قال لهم لما
خرجت عنكم قريب من سور القلعة فجعلوا
يطمطمون بلغاتهم ويرمون بالحجارة وأنا لا
أتعرض لهم كل ذلك أطلب من يتكلم
بلسان العربي حتى أيست فهممت بالرجوع
فلم أدر إلا بخبطة عظيمة قد وقعت من أعلى
السور فأسرعت إليها لأنظر ما هي وإذا به
هذا العلج قد وقع من أعلا السور فأسرعت
إليها لأنظر ما هي وإذا به هذا العلج قد وقع
من أعلا السور فأخذته وأتيت به فكلموه

فلم يدروا ما يقول وإذا به قد انفتلت رجله وانفتحت
جبهته فقال لهم دامس على رسلكم أنا أتيتكم
بمن يتكلم فأسرع دامس وغاب ساعة حتى أتى
برجل يقوده بعمامته حتى مثله بين أيديهم
قالوا له أنت من المدينة أو من القلعة قال بل أنا
من العرب المتنصرة قال له دامس هل لك
أن تطلعنا على عورة القلعة لعل نلحق أعدانا
فيها فقال يا هؤلاء ما أعرف لها عورة ولو عرفت
لها عورة ما يمكنني ديني أفعل ذلك فعند ذلك
ضرب أعناق الجميع وعمد دامس إلى مزوده
وأخرج منه جلدا ماعزا فألقاه على ظهره واستخرج
كعكا يابسا وقال لأصحابه بسم الله استعينوا
بالله وتوكلوا على الله واخفوا أمركم ما
استطعتم وقدموا الخيرة في أمركم فإني
معول على فتح هذه القلعة إن شاء الله تعالى

قَالُوا يَا دَامِسُ سِرْ بِنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ مُسْرِعِينَ يَقْدُمُهُمْ دَامِسُ ثُمَّ
بَعَثَ رَجُلَيْنِ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ يُخْبِرَاهُ بِشَأْنِهِمْ وَيَبْعَثُ
لَهُمُ الْخَيْلَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فَانْطَلَقَ الرَّجُلَانِ
وَصَعِدَ دَامِسُ وَمَنْ مَعَهُ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ وَدَامِسُ
عَلَى الْمُقَدِّمَةِ يَتَنَسَّمُ لَهُمُ الْأَخْبَارَ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى
أَرْبَعٍ وَالْجِلْدُ عَلَى ظَهْرِهِ وَكُلَّمَا أَحَسَّ بِشَيْءٍ قَرَضَ
الْكَعْكَةَ كَأَنَّهُ كَلْبٌ يَقْرِضُ عَظْمًا وَالْمُسْلِمِينَ
مِنْ وَرَائِهِ يُخْفُونَ أَمْرَهُمْ تَارَةً وَيَمْشُونَ تَارَةً
وَيَسْتَتِرُونَ بِالْحِجَارَةِ وَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى
قَارَبُوا الْقَلْعَةَ فَسَمِعُوا الْحَرَسَ وَزَعَقَاتِ الرِّجَالِ
وَالْحَرَسُ شَدِيدٌ فَجَعَلَ دَامِسُ يَدُورُ حَتَّى أَتَى هُوَ
وَأَصْحَابُهُ إِلَى بُرْجٍ مِنْ أَبْرَاجِ الْقَلْعَةِ وَإِذَا بِصَاحِبِ
ذَلِكَ الْبُرْجِ وَالْمُوَكَّلِ بِهِ قَدْ نَامَ وَلَا فِي الْقَلْعَةِ
أَقْصَرُ مِنْ ذَلِكَ الْبُرْجِ فَقَالَ دَامِسُ لِأَصْحَابِهِ مَا

تَرَوْنَ إِلَى هَذِهِ الْقَلْعَةِ وَعُلُوِّهَا وَتَحَصُّنِهَا وَمَا لَنَا حِيلَةٌ إِلَى
الْوُصُولِ إِلَيْهَا فَمَا الرَّأْيُ عِنْدَكُمْ قَالُوا لَهُ يَا دَامِسُ
الْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالرَّأْيُ رَأْيُكَ وَلَا فِينَا أَحَدٌ يُخَالِفُ
لَكَ قَوْلًا وَالْقَتْلُ عِنْدَنَا أَهْوَنُ مِنَ الرُّجُوعِ بِلَا فَائِدَةٍ
وَلَا فِينَا أَحَدٌ يَتَأَخَّرُ عَنْكَ وَلَا نَمُوتُ إِلَّا تَحْتَ
ظِلَالِ السُّيُوفِ فِي طَاعَةِ اللهِ وَرِضَا إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ
فَقَالَ لَهُمْ دَامِسُ شَكَرَ اللهُ لَكُمْ فِعْلَكُمْ
وَرَزَقَكُمُ اللهُ النَّصْرَ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ بُغْيَتَكُمْ
فَاطْلُبُوا السُّورَ ثُمَّ إِنَّ دَامِسًا اخْتَارَ مِنْ أَصْحَابِهِ
سَبْعَةَ رِجَالٍ كَالْأُسُودِ الضَّوَارِي ثُمَّ إِنَّ دَامِسًا
جَلَسَ وَأَخَذَ وَاحِدًا مِنْهُمْ عَلَى مَنْكِبَيْهِ وَأَمَرَ كُلَّ
وَاحِدٍ أَنْ يَطْلَعَ عَلَى مَنْكِبِ صَاحِبِهِ وَيُمْسِكُ
الْجِدَارَ إِلَى أَنْ طَلَعَتِ السَّبْعَةُ عَلَى مَنَاكِبِ بَعْضِهِمْ
بَعْضًا فَعِنْدَ ذَلِكَ قَامَ الْأَوَّلُ وَقَامَ الثَّانِي إِلَى أَنْ
قَامَتِ السَّبْعَةُ وَدَامِسُ تَحْتَهُمْ حَامِلُهُمْ حَتَّى

وصل أعلاهم إلى شراريف البرج وتعلق به ثم فر
فصار من أعلا السور من داخله فنظر إلى حارس
ذلك البرج وإذا هو نايم فأخذ بيده ورجله
ورمى به إلى أسفل فلما نظروه أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قطعوه بالسيوف وصاب له
صاحبين رقودا فذبحهما بخنجره ورماهما إلى أسفل
الأرض ثم أرخا عمامته إلى صاحبه الذي كان
على منكبه فتعلق بها فإذا هو معه على السور
وجعلا يفعلان كذلك بأصحابهما إلى أن مضى
الأمر إلى دامس فدلوا عمايمهم وتعاونوا
عليه حتى صار معهم ثم قال لهم لا يتحرك منكم
أحد حتى أعرف لكم خبر القوم ثم أقبل
دامس مشرفا على وسط القلعة فإذا هو بسادات
الروم ورؤسايهم في مجلس واحد وبين أيديهم
بواطي الذهب والفضة ويوقنا جالس في

وسطهم على بساط من الديباج الأحمر وعلى رأسه
تُرِيّة من اللؤلؤ الرطب متعصب بعصابة من الجوهر
والقوم يأكلون ويشربون والمسك ينتثر عليهم
فأقبل دامس إلى أصحابه وقال لهم إن الروم
خلق كثير وإن نحن هجمنا عليهم لم نأمن من
الغلبة لكثرتهم ولكن نذرهم في أكلهم
وشربهم فإذا كان وقت السحر هجمنا عليهم
بسيوفنا وتكون الرجلان قد وصلا إلى أبي
عبيدة وأعلماه بخبرنا فعسى أن تدركنا الخيل
فقالوا له ما نخالف لك أمرا وقد حصلنا في قلعة
الروم ولن ينجينا إلا الله تعالى والشدة والحزم
فلما سمع دامس ذلك منهم قال قفوا حتى أقتل
البوابين وكان للقلعة بابان بينهما دهليز
تغلق البابان من داخل والرجال من داخل بالعدد
والسلاح كل ليلة على ثلاثة رجال بالنوبة

فأقبل دامس إلى الباب فوجده مغلوقا من داخله فعظم
ذلك عليه فقصد دامس إلى ركن الباب فقلع منه
حجرا عظيما ودخل من موضع الحجر فوجد البوابين
رقودا فذبحهم وفتح البابين الذي داخل القلعة
والذي خارج منها وترك البابين مردودين ورجع
إلى أصحابه فأعلمهم بذلك وقد صار الوقت
سحيرا ثم قال دامس يا فتيان العرب قد قتلت لكم
البوابين وفتحت لكم البابين فدونكم والأ
بواب فاملكوها من أعداء الله فقامت الصحابة
رضي الله عنهم وامتشقوا سيوفهم وتنكبوا
بحجفهم وجعلوا يخفون أشخاصهم ويكتمون أمرهم
إلى أن وصلوا إلى باب القلعة وأخذ كل واحد
منهم مكانه عند ذلك هجمت الروم عليهم
وقصدتهم الأبطال وصاحت الروم كيف
تمت هذه الحيلة علينا وصرخ بهم بوقتنا

واخترطت الروم القواضب وعلا التكبير من المسلمين
قال ابن أوس القرشي لقد قاتلت الأبطال
وقاتلت الرجال فما رأيت قتالا أشد بأسا ولا أقوى
مراسا في ذلك اليوم من دامس رحمة الله عليه
ولقد عددنا في بدنه بعد انفصالنا من الوقعة
ثلاث وسبعين جرحا فبينما نحن في أشد الحرب وقد
جرحت رجالنا وأشرفنا على الهلاك وأيقنا بالموت
يدا واحدة وكنا يومئذ ثمانية وعشرين رجلا
فقتل منا ~~ثمانية وعشرين رجلا وقتل ثمانية~~
منهم أوس بن عامر الجرهمي وأبو ماجد بن
سراقة الحميري والبارع بن المسيب التميمي
ومرارة بن مراد العنوي والربيع بن خالد العبدي
من بني عبد الدار وهلال بن تغرب الخثعمي
وأمية بن فادع الدارمي والأسود بن ملاعبة
ابن مقدام بن عزوة الحضرمي قال الواقدي

ولقد حدثني نوفل بن سالم عن جده عويلمة بن خارج وكان
ممن حضر مع دامس في قلعة حلب قال لما قتل منا
ثمانية من أصحابنا وبقي منا عشرون رجلا وتكاثرت
الروم علينا في أزيد من أربعة آلاف فارس إذ
أشرف علينا خالد بن الوليد رضي الله عنه في ألف
فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك أن الأمير أبا عبيدة كان قلقا علينا
متشوقا إلى أخبارنا وكان قد ألقى خالدا بالقرب
منا فأول ما لاقاه الرجلان أخبراه بصعودنا إلى
القلعة فأقبل إلينا مسرعا ووجدنا في القتال
الشديد فلما وقع الصايح بقدوم خالد بن الوليد
صعدت الروم على سور القلعة وأشرفوا على
الخيل الذي فيها خالد قال أوس فلما سمعنا تكبير
المسلمين قويت قلوبنا واشتد بأسنا على القتال
وضربنا في الروم ضربا شديدا فعند ذلك دخل

خالد بمن معه إلى القلعة فلما نظرت الروم إلى المسلمين
علموا أن لا طاقة لهم عليهم فحطوا السلاح وصاحوا الفوز
الفوز فكف المسلمون عنهم القتال فبينما هم
كذلك إذ أشرف عليهم أبو عبيدة بعساكر
المسلمين وأبطال الموحدين فقال المسلمون له أيها
الأمير إن الروم طلبوا الأمان وإن المسلمين
كفوا عنهم القتال ثم أمر أبو عبيدة بإحضار
رجالهم ونسائهم وأعرض عليهم الإسلام وكان
أول من أجاب بالإسلام بطريقهم يوقنا رحمة
الله عليه وجماعة من ساداتهم فرد عليهم أبو
عبيدة أموالهم وأهاليهم ثم أطلق منهم فلاحين
وأخذ عليهم العهود والمواثيق أن لا يتعرضوا
على أحد من المسلمين ثم أطلق شيوخهم وعجايزهم
فانطلقوا يريدون الدروب وأخرج المسلمون
من الذهب والفضة وأواني الذهب والفضة

ما لا يقع عليه العدد فأخذ أبو عبيدة منه الخمس وفرق
الباقي على المسلمين وأخذت الناس في حديث دامس
وحيلته وأقاموا يومهم ذلك وهم يعالجون جروح
دامس إلى أن برى من جراحاته ومن كان جرح من
المسلمين ثم إن أبا عبيدة دعا المسلمين إليه
وشاورهم وقال إن الله عز وجل قد فتح هذه القلعة
على أيدينا وما بقي موضع نطلبه إلا الانطاكية
وهي دار ملكهم وكرسي عزهم وفيها بقية
ملوكهم فما ترون من الرأي الرشيد فقام
إليه البطريق يوقنا وقال بلسان العربية أيها
الأمير إن الله عز وجل أيدكم ونصركم على
عدوكم وما ذلك إلا أن دينكم هو الدين
المعروف أنه الدين القديم ونبيكم هو
المشهور في الإنجيل وهو الذي بشر به المسيح
لا شك فيه وهو الفاروق الذي يفرق بين

الحق والباطل وهو النبي اليتيم الذي يموت أبوه
وأمه ويكفله جده وعمه فهل كان ذلك
قال نعم هو نبينا صلى الله عليه وسلم ثم قال
أبو عبيدة يا يوقنا إنك ما كنت تعرف قبل هذا
اليوم بلسان العرب فمن أين لك حفظها قال
يوقنا لا إله إلا الله محمد رسول الله أتعجب من هذا
أيها الأمير قال نعم قال يوقنا اعلم أنني كنت
البارحة متفكرا في أمركم وكيف نصرتم
علينا فلما توسوست في أمركم نمت فرأيت
في منامي شخصا وجهه أبهى من القمر فسألت
عنه فقيل لي هذا محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت إن كان نبيا صادقا فيسأل
ربه أن يعلمني باللسان العربي فاستيقظت
وأنا أتكلم باللسان العربي ثم قمت إلى منزل
أخي يوحنا ففتحت خزانة كتبه وطالعت فيها

فوجدت في بعض كتبه صفة محمد صلى الله عليه وسلم
وما يكون من أمره وأن أبغض الناس إليه اليهود
أكان ذلك فقال أبو عبيدة نعم كانت اليهود
تطلبه أشد الطلب حتى نصره الله عليهم وأخذ
حصونهم وقتل أبطالهم وملك ديارهم وكان
الله عز وجل يوصيه على أصحابه فقال يوقنا وما
وصيته فقال أبو عبيدة قال تعالى واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال تعالى وأما
السائل فلا تنهر قال الواقدي فلما سمع يوقنا
هذا الكلام من أبي عبيدة تهلل وجهه فرحا
وقال الآن رسخ دين الإسلام في قلبي وعلمت
أنه الحق وسوف أقاتل أعداءكم وأمحوا ما
سلف في دين الجاهلية وهذا ما جرى من فتح
قلعة حلب ،

ذكر فتح حصن اعزاز ٥
وفتح منبج وبزاعة وجسر منبج ورستاقها ، ٥

قال الواقدي ثم إن أبا عبيدة نظر إلى يوقنا وقد
زاد إيمانا ويقينا قال له يا عبد الله دلنا إلى أين
نسير فقال يوقنا اعلم أيها الأمير أن حصن اعزاز
قوي حصين منيع بالرجال والعدد والزاد
والمتولي عليه ابن عمي واسمه دادريس
وهو ذو شدة ومنعة ومرام شديدة في الحرب
وإن أنتم تركتموه ومضيتم إلى إنطاكية
غار على حلب وقنسرين فقال أبو عبيدة وكيف
الحيلة إليه والوصول إليه قال يوقنا قد دبرت
حيلة وأرجوا من الله عز وجل أن يتمها فقال له
أبو عبيدة فما دبرت من الرأي قال يوقنا
دبرت من الرأي أن أركب جوادي وتضم
لي مائة رجل من المسلمين وهم لابسون زي
الروم وتنفذ أميرا من المسلمين ومعه ألف
فارس راكبين على عتاق الخيل وأنا والمسلمون

الماية كأننا هاربون بعد فرسخ منكم والأمير
بألف فارس ورآنا في طلبنا فإذا أشرفنا على اعزاز
ألفينا الصايح فإذا خرج إلينا صاحب اعزاز وأطلعنا
في قلعته صبرنا إلى الليل ونزلنا في وسط
الحصن ووضعنا السيف في أعدائنا ويكون
صاحبك بالألف فارس قريبا منا فلما سمع أبو
عبيدة ذلك من يوقنا استشار خالدا ومعاذ بن
جبل فقالوا يا أمين الأمة إنه رأى سديد إن لم
يعد زهد هذا الرجل ويرجع إلى دينه فقال
أبو عبيدة إن ربك لبالمرصاد فقال لهم يوقنا
والله ما رجعت إلى دينكم إلا وقد ذهب من
قلبي ما كنت أعظمه من الصور والصلبان
وما بقي في قلبي إلا محبة الله عز وجل الذي لا إله إلا
هو ومحبة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم
الذي رأيته في النوم وعاينت معجزاته فإن

كنتم تظنون في ظنا كاذبا فلا تتركوني لما
ذكرت فقال له أبو عبيدة يا عبد الله إن أنت
نصحت المسلمين ولم تغدر كان الله لك عونا
ومعينا في كل ما تحاوله فاتبع الصدق تنج به
فإن ديننا ما بني إلا على الصدق واتبع سنن
إخوانك المسلمين لأن المؤمن الصادق قوته
ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه أين ما وجد
ولا يغرنك ما تركته من ملكك وزينتك
وحكمك وأمارتك فإن الذي تركته فان
والذي أنت تطلبه باق لأن نعيم الدنيا يفنى
والآخرة خير وأبقى واعلم أنك في يومك هذا
عار من الذنوب كيوم ولدتك أمك واعلم
أن الدنيا سجن المؤمن والقبر مضجعه والخلوة
مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه
والذكر أنيسه والزهد قرينه والحزن

شأنه والحيا شعاره والجوع إدامه والحكمة كلامه
والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته
والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله
والعبادة حرفته والجنة داره واعلم يا يوقنا أن
المسيح عليه السلام قال عجبت لثلاثة غافل وليس
بمغفول عنه ومؤمل دنيا والموت يطلبه وباني
قصر والقبر يسكنه وقال نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم من أعطى أربعا لم يحرم أربعا
وتفسير ذلك في كتاب الله العزيز أولهم الذكر
قوله تعالى اذكروني أذكركم ومن
أعطى الدعا أعطى الإجابة لقوله تعالى ادعوني
أستجب لكم ومن أعطى الشكر أعطى الزيادة
لقوله تبارك وتعالى ولئن شكرتم لأزيدنكم
ومن أعطى الاستغفار أعطى المغفرة لقوله تعالى
استغفروا ربكم إنه كان غفارا قال الواقدي

أخبرنا يونس ابن عبد الأعلى قراءة عليه قال حدثنا
شهر بن حوشب عن جده عامر بن أوس قال كنت
ممن شهد فتوح قنسرين وحلب مع أبي عبيدة
وكنت كثيرا أصحب الروم الذين أسلموا ود
خلوا في ديننا فلم أر في قتال الروم أشد اجتهادا
ولا أخلص نية ولا أبلغ في الجهاد ولا أعظم
في قتال من يوقنا رحمة الله عليه والله لقد
نصح المسلمين وجاهد في المشركين وأرضى
رب العالمين ولقد فعل في الروم ما لم يفعله
أحد قبله من أبناء جنسه قال الواقدي ولما
وعظ أبو عبيدة يوقنا وفرغ من ذلك ضم إليه مائة
رجل من المسلمين وألبسهم زي الروم وكان
كل عشرة منهم من قبيلة وألقى على كل عشرة
نقيبا وكانت القبايل طيئا ونهدا وخزاعة
وسنبسا ونميرا والحضارمة وحميرا وباهلة

وَتَمِيمًا وَمُرَادًا فَأَمَّا نَقِيبُ طَيٍّ فَهُوَ خَزْعَلُ بْنُ عَاصِمٍ
وَعَلَى نَهْدٍ مُرَّةُ بْنُ مُزَاحِمٍ وَعَلَى خُزَاعَةَ سَالِمُ بْنُ
عَدِيٍّ وَعَلَى سُنْبُسٍ مَسْرُوقُ بْنُ سِنَانٍ وَعَلَى نُمَيْرٍ
أَسَدُ بْنُ دَارِمٍ وَعَلَى الحَضَارِمَةِ مَاجِدُ بْنُ عُمَيْرَةَ
وَعَلَى حِمْيَرَ مَلِكُهُمْ ذُو الْكَلَاعِ الحِمْيَرِيُّ
وَعَلَى بَاهِلَةَ سَيْفُ بْنُ فَارِعٍ وَعَلَى تَمِيمٍ سَعِيدُ
بْنُ جُبَيْرٍ وَعَلَى مُرَادٍ مَالِكُ بْنُ فَيَّاضٍ قَالَ
الوَاقِدِيُّ فَلَمَّا رَتَّبَهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ هَذَا التَّرْتِيبَ
قَالَ لَهُمْ اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنِّي مُرْسِلُكُمْ مَعَ
هَذَا العَبْدِ الَّذِي وَهَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ
وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ عَلَيْهَا نَقِيبٌ وَقَدْ وَلَّيْتُهُ
عَلَيْكُمْ فَاسْمَعُوا قَوْلَهُ مَا دَامَ عَلَى مَرْضَاتِ اللهِ
قَالَ الوَاقِدِيُّ فَرَكِبُوا وَسَارَ يُوقَنَّا عَلَى
المُقَدِّمَةِ فَلَمَّا بَعُدَ يُوقَنَّا بِمَنْ مَعَهُ مِقْدَارَ فَرْسَخٍ
أَنْفَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَالِكَ بْنَ الحَارِثِ الأَشْتَرَ

النَّخَعِيَّ وَضَمَّ إِلَيْهِ أَلْفَ فَارِسٍ وَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ الحَارِثِ
سِرْ فِي أَثَرِ هَذَا العَبْدِ وَانْظُرْ مَا يَؤُولُ أَمْرُهُ إِلَيْهِ
فَإِذَا قَرُبْتَ مِنْ اعْزَازَ أَكْمِنْ إِلَى وَقْتِ السَّحَرِ
ثُمَّ اظْهَرْ لِإِخْوَانِكَ ثُمَّ قَالَ لَهُ سِرْ وَفَّقَكَ اللهُ
وَأَرْشَدَكَ فَسَارَ مَالِكُ الأَشْتَرُ عَلَى مُقَدِّمَةِ
الأَلْفِ إِلَى أَنْ غَابُوا عَنْ عَسْكَرِ المُسْلِمِينَ
وَحِينَ جَنَّ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ وَإِذَا هُمْ فِي قَرْيَةٍ
اسْمُهَا مِيرَةُ فَوَجَدُوهَا خَالِيَةً مِنَ السَّاكِنِ
فَكَمَنُوا فِيهَا قَالَ الوَاقِدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ وَأَمَّا مَا
كَانَ مِنْ يُوقَنَّا فَإِنَّهُ سَارَ عَلَى طَرِيقِ الجَادَّةِ
وَسَارَ مَعَ المِائَةِ الصَّحَابِيَّةِ وَهُوَ طَالِبٌ بِهِمْ
اعْزَازًا قَالَ الوَاقِدِيُّ حَدَّثَنِي الشَّرِيدُ بْنُ
مَازِنٍ عَنْ جَدِّهِ خَزْعَلِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ كُنْتُ
فِي خَيْلِ يُوقَنَّا لَمَّا وَجَّهَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ مَعَهُ إِلَى اعْزَازَ
قَالَ لَمَّا سَارَ بِنَا هَا أَقْبَلَ عَلَيْنَا يُوقَنَّا وَقَالَ

يا فتيان العرب قد شارفنا بلد العدو فإياكم أن
يتكلم أحد منكم فإن لغتكم لا تخفى على الروم
وأنا المترجم عنكم وكونوا على يقظة من أمركم
فإذا رأيتموني قد بطشت بصاحب هذه المدينة
فثوروا على اسم الله ثم سار وليس عنده خبر من القدر
قال الواقدي رحمه الله حدثني سليمان بن
عبد الله اليشكري قال حدثني حكيم بن
عبد الرحمن المازني وكان ممن يكتب فتوح
الشام قال أخبرني الأكوع المازني قال كنت
مع مالك الأشتر في جملة الألف فارس حين سرنا
في أثر يوقنا بطريق حلب حتى إذا كنا في قرية
منزه وأقمنا ننتظر الصباح وإذا بجيش من ورائنا
قال فرأينا مالك الأشتر قال فرأينا مالك وقد
غاب عنا وقصد الجيش ثم عاد ومعه رجل من
العرب فقال يا فتيان العرب اسمعوا ما يقول

هذا الرجل فقالوا وما الذي يقول قال اسألوه
فإنه يخبركم فسألوه فقالوا من أي الناس أنت قال
أنا من غسان من بني عم جبلة بن الأيهم فقال
له مالك ما اسمك قال اسمي طارق بن شيبان فقال
له مالك بحق ذمة العرب يا طارق لا تكتمنا
أمرا تعرفه من أعدائنا فقال والله لا كتمتكم
أمرا أعرفه ولكن خذوا على أنفسكم قبل
قدوم عدوكم فقال له مالك وكيف
ذلك قال لأن البارحة ورد على اعزاز جاسوسا
من عندكم وهو عطية بن عرفطة التميمي
وقد سمع ما تناجيتم به من الحيلة التي دبرها
يوقنا على صاحب اعزاز فلما سمع الجاسوس
منكم ذلك كتب رقعة وربطها في ذنب
حمام كان معه في ظاهر عسكركم
وأرسله إلى صاحب اعزاز اليوم قبل صلاة

ظهركم قال فلما قرأه بعثني إلى صاحب
الراوندان لوقا ابن شامس يستنجد به عليكم
وقد مضيت إليه بالرسالة وكأنكم به وقد
أقبل عليكم في خمس مائة فارس فتأهبوا لهم
قال الواقدي رحمه الله وأما ما كان من
أمر يوقنا فإنه سار حتى ورد حصن اعزاز فوجد
صاحبه قد حصنها وحذر أجناده وصفهم خارج
الحصن وكان اللعين يركب في ثلاثة
آلاف من الروم وألف من العرب المتنصرة فلما
قدم يوقنا لم يوهمه شيئا بل استقبله وترجل
له وأقبل كأنه يقبل ركابه وفي يده
سكين أمضى من القضا فقطع بها حزام السرج
ثم نتر يوقنا نترة إذا به على أم رأسه وأطبقت
الأربعة آلاف فارس على أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخذوهم قبضا بالكف

وشدوهم بالوثاق وبصق داد ريس في وجه يوقنا
وقال لقد غضب عليكم المسيح إذ فارقت دينه
ورجعت مع أعدائه فوحق المسيح لابد أن أبعث
بك إلى الملك الرحيم هرقل فيصلبك على باب
انطاكية بعد أن أضرب رقاب هؤلاء العرب
ثم صعد بهم إلى قلعته قال الواقدي ومن خيرة
الله تعالى للمسلمين أن الجاسوس لم يكتب
في بطاقته لصاحب اعزاز بسير مالك النخعي في
ألف فارس وأما ما كان من مالك فإنه أقام
ينتظر صاحب الراوندان فلما مضى هزيع
من الليل سمعوا قعقعة اللجم ودوي الخيل
فلم يكلمهم مالك حتى توسطوا الكمين
فعندها أطبق عليهم وصار كل اثنين على
فارس من الروم فأخذوهم أخذ الكف
ثم أوثقوهم وأخذوا لباسهم وثيابهم فلبسوها

ورفعوا راياتهم وصلبانهم كما كانت
ثم التفت مالك إلى المتنصر وقال له هل لك أن
ترجع إلى دين الله ودين نبيه ويمحا عنك
ما تعلق من الكفر وتصبح من جملة الإخوان
فقال والله إن قلبي عندكم وفي دينكم
وإني كنت أول من أسلم على يد عمر بن
الخطاب رضي الله عنه مع جبلة وقد سمعنا عن
محمد أنه قال من بدل دينه فاقتلوه فقال
له مالك لقد صدقت في قولك ولكن نسخ
ذلك بقول الله تعالى إلا من تاب وآمن ولقد
قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبة
وحشي وكان قد قتل عمه حمزة فقال
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا
رسول الله فقال مالك قبل الله توبتك
وثبت إيمانك ثم قال يا عبد الله إنا نريد

منك الآن أن تذهب إلى صاحب اعزاز تبشره بقدوم
صاحب الراوندان إلى نصرته فقال سأفعل وإن
كنت في شك من أمري فانفذ معي رجلا ممن تثق
به يسمع ما أقول فإن الليل قد تنصف والحرس
شديد وأنا أخاطبهم من شفير الخندق قال
فانفذ مالك معه ابن عمه راشد بن مقبس ووصاه
أن يكون مستيقظا وسارا جميعا إلى اعزاز
فوجدا الحرس الشديد والروم تضرب بقرونها
وبوقاتها والضرب عال في وسط الحصن فقال
طارق لراشد أما وحق أبي ما هذا إلا صوت
قتال وحرب ثم قصينا فإذا الأمر على ما قال
طارق قال الواقدي وكان الأصل في
ذلك ابن لصاحب اعزاز اسمه لاون وكان
أبوه داد ريس تبعثه في كل وقت إلى يوقنا
بهدايا وتحف يقيم عند يوقنا في القلعة

الشهر والاثنين وانه حضر عنده في بعض الكرات
في عيد الصليب في الساعة التي هي اليوم الجامع
فرأى ابنة يوقنا في جواريها وخدمها فوقعت
بقلبه وأحبها حبا شديدا وكتم أمرها وأمره
حتى عاد الى اعزاز وشكا حاله الى أمه فقالت
أنا أخاطب أباك في ذلك وأمره أن يبعث الى
صاحب حلب فيزوجك بابنته فاشتغلت قلوبهم
بمسير العرب الى قنسرين وحلب فلما قدم
يوقنا وكان من أمره كما ذكرناه وقبض
عليه ابن عمه وقبض على أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فألقاهم في دار ولده
لاون ووصاه عليهم فقال الغلام وحق ديني
إن يوقنا أعلم من أبي بالأديان ولولا أنه
رأى الحق مع العرب لما تبعهم وقلبي متعلق
بابنته وإني أرى من الرأي أن أجل هؤلاء القوم

من الوثاق وأرجع إلى دينهم فهو الحق وأنال الفوز
والمنى وأتزوج بابنته فلما حدثته نفسه بذلك
أقبل إلى يوقنا وجلس بين يديه وقال يا عم
قد عولت أن أحلك من وثاقك وأحل أصحابك
وقد اخترتك على أهلي وأبي وملكي وأنت
تعلم أن فراق الأهل صعب لكن الإيمان
أوثق من الكفر وقد علمت أن دين هؤلاء هو
الصحيح ولكن على شرط أن تزوجني ابنتك
والمهر الذي تأخذه مني هو عتقك وعتق
أصحابك قال يوقنا يا بني إن كنت معولا على
الإسلام فلا يكن لأجل غرض من أغراض
الدنيا وليكن لله خالصا فإن الله يثيبك
على ما تفعله وأنا إن شاء الله تعالى أبلغك ما تريد
وتنال عز الدنيا والآخرة فقال لاون
أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا

رسول الله ثم رحل يوقنا وأصحابه ودنا ولهم سلاحهم
وقال ثوروا على اسم الله وها أنا أمضي إلى أبي فإنه
قد نام وهو ثمل من الخمر فأقتله في رضا الله
تعالى ثم أسرع إلى أبيه فوجده بلا رأس ووجد
أمه وإخوته عنده فقال من فعل هذا بأبي
قلن نحن قال ولم ذلك قلن أردن بذلك وجه
الله تعالى وقد سمعنا حديثك مع يوقنا فخفنا
عليك ألا يتم عليك أمر ويتكاثر الجمع على
القوم ويبلغ خبرك لأبيك فيقتلك فبطشنا به
قبلك ففرح لاون بذلك ورجع إلى يوقنا
وأصحابه فأعلمهم بذلك ففرح وفرحوا ورفعوا
أصواتهم بالتهليل والتكبير ووضعوا السيف
في الروم ووقع الصايح في الحصن وتبادرت
الروم تقاتل عن الحريم ففي تلك الساعة قدم
طارق وابن عم مالك فلما تحققا أمر القتل

عاد إلى مالك وحدثاه بما سمع في أعزاز فقال
لأصحابه اركضوا الخيل ولا قوة إلا بالله قال فركضوها
إلى أن وردوا باب أعزاز وأحسن بهم الغلام لاون
ابن دادريس ففتح لهم فلما حصلوا فيها أعلنوا
بالتهليل والتكبير ونظر أهل أعزاز إلى ما حل
بهم فرموا السلاح وصاحوا الفوز الفوز فرفع مالك
السيف عنهم وأخذ جميع ما في الحصن وشكر
ليوقنا ومن كان معه فقال اشكروا الله ثم
هذا الغلام ثم حدثه بأمره فقال مالك إذا أراد
الله أمرا هيأ أسبابه قال الواقدي حدثني أبو عقبة
عن صفوان بن عامر عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه
قال سألت أبا لبابة عن أبيه عبد المنذر وكان
ممن حضر فتوح الشام كيف كان سبب
قتل دادريس فإن نفسي تأبى هذا الحديث
وأريد صحته قال لما وضعت الحرب أوزارها

وضم مالك الأسرى والمال والثياب وآنية الذهب
والفضة وأمر بإخراج ذلك كله إلى ظاهر المدينة
ووكل به قيس بن سعيد وكان ممن حضر
اليرموك فأصابه سهم فعوقه وكذلك
أبو لبابة بن عبد المنذر وكلاهما حضر بدرا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لم يبق
أحد بأعزاز قام مالك الأشتر يمشي في الحصن
فرأى داديس مقتولا فقال مالك من قتل هذا
اللعين فقال لاون قتله أخي لوقا وهو أكبر
مني سنا فأمر مالك بإحضاره وقال لم قتلت
أباك وما سمعنا أن ولدا قتل أباه من الروم سواك
فقال حملني على ذلك صحة دينكم وذلك أن
في بيعة هذا الحصن قسا من المعمرين كنا
نقرأ عليه الإنجيل ويعلمنا بالقلم الرومي
وإني في بعض الأيام عنده وليس عنده سواي

فقلت له يا أبانا ألا ترى إلى بلاد الشام كيف
استولت عليها العرب وهزموا جيوش الملك فقال
قرأت ذلك في ملاحم اليونانيين قال يا بني
نعم قرأنا ذلك ولقد أخبرت الملك هرقل
بذلك قبل وقوع هذا الأمر وقد بلغنا عن
نبي القوم أنه قال زويت لي الأرض فرأيت
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي
لي منها فقلت له يا أبانا ما تقول في نبي القوم
فقال يا بني في كتبنا أن الله يبعث نبيا
من الحجاز وقد بشر به المسيح عليه السلام ولا
ندري أهو هذا أم لا فعلمت أنه يكتم
علي الأمر مخافة أن أذيعه عنه فكتمت
الأمر إلى البارحة فلما رأيت يوقنا وأصحابه
أسرى فقلت هذا يوقنا قد قتل لأخيه
وعاند العرب ثم رجع إلى دينهم وما ذا إلا

لِأَنَّهُ عَلِمَ الْحَقَّ فَاتَّبَعَهُ فَلَمَّا نَامَ أَبِي قَتَلْتُهُ وَسِرْتُ إِلَى
خَلَاصِ يُوقَنَّا وَمَنْ مَعَهُ فَوَجَدْتُ أَخِي لَاوُنَ وَقَدْ
سَبَقَنِي إِلَى ذَلِكَ ثُمَّ خَرَجَ مَالِكٌ مِنَ الْحِصْنِ وَوَلَّاهُ
لِسَعِيدِ بْنِ عَمْرٍو النُّمَيْرِيِّ وَتَرَكَ مَعَهُ الْمِائَةَ
الَّذِي كَانُوا مَعَ يُوقَنَّا قَالَ الْوَاقِدِيُّ بِإِسْنَادِهِ
إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ قُرْطٍ الْأَزْدِيِّ أَنَّ اعْزَازَ كَانَ
فَتْحُهَا هَكَذَا وَالَّذِي ذَكَرَ أَنَّ الْمَرْأَةَ وَبَنَاتِهَا
قَتَلْنَ دَادِ رِيسَ لَمْ يَصِحَّ ثُمَّ إِنَّ مَالِكَ الْأَشْتَرَ أَرَادَ
أَنْ يَرْحَلَ إِلَى حَلَبَ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْغَنَائِمِ فَأَعْرَضَ
سَبْيَ اعْزَازَ فَكَانَ أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ شَبَابِ الرُّومِ
وَأَلْفَيْنِ وَسِتَّةً وَأَرْبَعِينَ مِنَ الشُّيُوخِ وَالرُّهْبَانِ
وَأَلْفَ امْرَأَةٍ مِنَ الْبَنَاتِ وَمِائَتَا عَجُوزٍ وَنَظَرَ إِلَى
شَيْخٍ مَلِيحِ الْهَيْبَةِ وَالشَّيْبِ فَقَالَ إِنْ صَدَقَ ظَنِّي
هَذَا الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْهُ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ
لَهُ مَالِكٌ إِذَا كُنْتَ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ دِينِكَ فَكَيْفَ

تَكْتُمُ الْحَقَّ فَقَالَ وَاللهِ مَا كَتَمْتُهُ عَنْ مُسْتَحِقِّهِ
وَلَكِنْ خِفْتُ مِنَ الرُّومِ أَنْ يَقْتُلُونِي فَقَالَ لَهُ
مَالِكٌ أَفَتَرْجِعُ إِلَى دِينِنَا فَقَالَ لَا أَرْجِعُ حَتَّى أَسْأَلَكُمْ
عَنْ مَسَائِلَ فَقَالَ مَالِكٌ قُلْ مَا بَدَا لَكَ فَلَمَّا أَرَادَ
الْقَسُّ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا إِذْ وَقَعَتْ صَيْحَةٌ عَظِيمَةٌ
فَرَكِبَ مَالِكٌ وَمَنْ مَعَهُ وَأَقْبَلُوا يَنْظُرُوا مَا دَهَاهُمْ
وَإِذَا قَدْ ظَهَرَتْ خُيُولُ الْعَرَبِ وَأَمَامَهُمُ السَّبَايَا
وَالْأَمْوَالُ وَالرِّجَالُ فَنَظَرَ مَالِكٌ وَإِذَا هُمْ أَلْفُ
فَارِسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقْدُمُهُمُ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ فَأَغَارَ عَلَى مَنْبِجَ وَبَزَاعَةَ
وَرُسْتَاقِهَا فَوَقَعَ التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ
وَسَلَّمَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَسَأَلَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ
مَالِكًا عَنْ قِصَّتِهِ فَحَدَّثَهُ وَأَنَّ اللهَ قَدْ فَتَحَ اعْزَازَ
وَأَذَلَّ مَنْ فِيهَا وَقَالَ لَهُ مَا مَنَعَنِي مِنَ الرَّحِيلِ إِلَى
حَلَبَ إِلَّا هَذَا الْقَسُّ وَسُؤَالُهُ فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ

أيها القس قل ما أنت قائله فقال أخبرني أي شيء
خلق الله من مخلوقاته قبل السموات والأرض
قال الفضل يقال أول ما خلق الله اللوح والقلم
ويقال العرش والكرسي ويقال الوقت
والزمان ويقال العدد ويقال خلق أولا جوهرة
فنظر إليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم خلق
منها العرش وذلك قوله تعالى وكان عرشه
على الماء ويقال خلق أولا العقل لأنه أراد أن
ينتفع الخلق بعقله وقيل أول ما خلق الله نورا
وظلمة ثم دعاهما إلى الإقرار به فأنكرت
الظلمة وأقر النور فخلق الجنة من النور لرضائه
عنه وخلق النار من الظلمة لسخطه عليها
وخلق أرواح الشهداء من النور وأرواح الأشقياء
من الظلمة لأجل ذلك يرجع كل واحد
إلى مستقره ويقال أول ما خلق نقطة ثم نظر

إليها بعين الهيبة فتضعضعت ومالت فصيرها ألفا
فجعلها مبتدأ كلامه سبحان من خلق الإنسان من
نطفة ثم يميتهم بقبضة ثم يحييهم بنفخة فلما
سمع قس اعزاز ذلك من كلام الفضل بن
العباس قال أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك
له وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم
عبده ورسوله فلما نظر أهل اعزاز إلى قسهم
وقد أسلم أسلموا عن آخرهم إلا القليل قال
الواقدي ولما أسلم أهل اعزاز بإسلام قسهم
عول الفضل بن العباس ومالك الأشتر على المسير
إلى حلب فقال يوقنا أنا والله ما لي وجه أقابل به
المسلمين لأني قلت قولا ودبرت حيلة فلم تتم
وإني معول على المسير إلى انطاكية ولعل الله
أن ينصرني وعلى الأعداء يظفرني فقال له
الفضل إن الله قال لنبيه ليس لك من الأمر شيء

فلا تحمل على قلبك فقال والله لا رجعت إلا بأمر يبيض
وجهي بين المسلمين ثم نظر وإذا قد صحب الفضل
مائتين من بني عمه وأهل بيته ممن رسخ الإيمان
في قلوبهم ولهم الأطفال والعيال بحلب فأخذهم
يوقنا معه وسار بهم يريد إنطاكية فلما
كان الليل اختار أربعة من بني عمه وقال
للباقين اخرجوا على طريق آخر كأنكم
هاربين من العرب وأمضي أنا وهؤلاء الأربعة
على هذا الطريق الأقصر إلى حارم ونجتمع
بإنطاكية إن شاء الله تعالى قال ففعل القوم
ذلك ولم يزل سائرا حتى وصل دير سمعان
المشرف على البحر الأسود فوجد هنالك خيلا
ورجلا يحفظون الطرقات فلما نظروا إليه ومعه
الأربعة بادروا إليه واستخبروهم عن حالهم
فقال يوقنا أنا صاحب حلب وقد هربت من

العرب

العرب قال فأخذوهم وأوقفوهم بين يدي الملك
هرقل فقال أنت يوقنا قال نعم يا عظيم الروم
ثم صفع وبكى فقال ما يبكيك وقد بلغني
عنك أنك رجعت إلى دين العرب فقال أيها
الملك قد بلغك الحق ولكن لم أسلم إلا لأكيد
القوم وأتخلص من شرهم ومن منظرهم
ونتن رائحتهم وإني قلت لهم أسلم لكم إعزاز
وأقتل صاحبها وأخذت منهم مائة سيد من
ساداتهم وسرت بهم حتى إذا حصلت في إعزاز
انصب عليهم وأجعلهم في الحصن وأنفذ
الكل إليك فحل علينا داديس ولم يدر ما
أضمرنا ووثق بجاسوسه ولم يثق بنا فقبض
علينا ولما انتصر العرب على حصن إعزاز ووضعوا
السيف في أهلها وذلك أن لوقا قتل أباه
وحل العرب وحلنا في الجملة فلما اشتغلوا في

القتال والنهب هربت أنا وهولاء الأربعة بدينا إليك ولولا محبتي لديني ما كنت بالذي أقتل أخي وأصبر على قتال العرب وحصارهم مدة سنة كاملة وأعانته البطارقة والملوك وقالوا صدق يوقنا ولا فينا أخلص من قلبه ولا أصدق من لسانه فقال يوقنا أيها الملك سيظهر لك عملي وفعلي وجهادي فاهتز الملك لقوله وخلع عليه ما كان يلبسه من زي الملوك وسوره ومنطقه وتوجه وقال إن كان حلب أخذت منك فأنا أوليك على انطاكية فأنت سكندرها ودمستقها يعني شحنتها وواليها قال فصقع له يوقنا ودعا له فبينما هو كذلك إذا الموكل بجسر الحديد قد وجه إليه أنه قد قدم علينا مأيتان من بني عم يوقنا قد هربوا من العرب فقال الملك ليوقنا اركب

واشرف عليهم فإن كانوا من بني عمك فأهلا بهم فضمهم إليك ليكونوا في ركابك وإن كان غيرهم فأتني بهم لأرى رأيي بهم فقال نعم أيها الملك ثم ركب وركب معه الهرقلية إلى الجسر فوقفوا هنالك وأمر بالمأتين أن يعرضوا عليه فلما رآهم رحب بهم ونظروا إليه في حشمته وخلعة الملك عليه فترجلوا بين يديه فقال كيف تخلصتم من العرب فقالوا إنا خرجنا مع أميرهم وغزونا على منبج وبزاعة فلما رجعنا نريد حلب غزونا على إعزاز فوجدناها قد ملكت فلما كان الليل هربنا وحجاب الملك يسمعون ذلك فأمرهم يوقنا بالركوب وسار بهم إلى الملك فحدثه الحجاب بما سمعوا فخلع الملك عليهم وأنزلهم وأعطى يوقنا دارا بإزاء قصره فقال يوقنا أيها الملك أنت تعلم أن هذه الدنيا لا

يد ومنعيمها وشبهها المسيح وطلابها بالكلاب
يتجادبونها وما خلا حسد من حسد وإذا أقبلت الدنيا
على أحد كثر حساده وأخاف أن يتكلموا في عرضي
بالقبيح فإن كان قلب الملك ينفر مني فليول
هذا الأمر لغيري ولست أبرح من ركابه
فقال له هرقل ما وليتك إلا وقلبي يثق بك ومن
تكلم فيك بشيء سلمته لك تفعل فيه ما شئت
فباس الأرض بين يديه وأراد الخروج إلى
خدمته التي ولاه عليها وإذا بخيل البريد قد
أقبلت إلى الملك من مرعش يذكرون أنهم
رسل ابنته زيتون وأنها خايفة من العرب
وهي تريد القدوم عليك وتسألك جيشا
يسيرها إليك فلما سمع الملك هرقل ذلك
قال ليس لها غير يوقنا فباس الأرض بين يدي
الملك وقال السمع والطاعة وضم إليه ألفي

فارس من المذحجة والقياصرة فسار يوقنا بالفين
فارس وماتين من أصحابه يجدوا السير إلى أن
وصلوا مرعش فأخذوا زيتون ابنة الملك
وهي الصغرى كان الملك قد ولاها على تلك
الأرض وعاد يطلب انطاكية وأخذ على
الجادة لعله يلقا أحدا من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيبعث معه الخبر إلى أبي
عبيدة بأنه قد تمكن من الملك فلما كان
في بعض الليالي وقد أشرف على الديباج إذا
بطوالعه قد عادت في سرعة البرق فقال
يوقنا ما وراكم قالوا أشرفنا على وسط
المرج وإذا بعسكر نازل وهم عرب نيام
وخيلهم تأكل علايقها فقال لهم يوقنا خذوا
على أنفسكم وأيقظوا خواطركم وقاتلوا
عن حرمة الملك فإذا استكملت الحرب

فاعتمدوا على الأسر وإياكم والقتل فإن العرب
لا بد لهم من مصادق معنا فإن أسر منا أحد كان
لنا من نفادي به وقد وجد في كتب بعض الحكماء
من نظر في عاقبة زمانه وشح بتوشيح أمانه ومن
أهمل أمره ضاق صدره ومن أكثر الغدر رحل
به الأمر سيروا على بركة المسيح قال فشرعوا
الأسنة وقصدوا من في المرج فلما أحس بهم
أهل الحرس أيقظوا أصحابهم فركبوا واستقبلوا
يوقنا فقالوا من أنتم قالوا نحن من أصحاب
الملك الرحيم هرقل ورجالة ملك العرب جبلة
ابن الأيهم سيد اليمن ومقدمنا ولده الهايم
فلما سمع يوقنا ذلك ترجل إعظاما له وترجلت
أصحابه وسلمت الروم على المتنصرة فقال الهايم
ليوقنا من أين طريقك قال من مرعش قد جئت
بابنة الملك فمن أين جئت أنت قال من المنزه

وال

والعمق حملت الميرة إلى أهلها فلما رجعت عبرت بمرج
دابق فالتقيت بكتيبة من الفرسان وهم زهاء
عن مائتي فارس وهم بزينا فلما شارفناهم
بدروا إلينا بعزم جليد وحرب شديد وإذا
مقدمهم لا يصطلى بناره فلقد أباد منا رجالا
وجندل أبطالا ونحن في ألف فارس فما كان
فينا إلا كالنار في الحطب فما زلنا نكر عليهم
ويكروا علينا حتى أسرنا المائتين من بعد أن
قتل الرجل منهم الفارسين والثلاثة وبقي
أميرهم آخر القوم فقصدنا جواده بالسهام
فقتلناه فلما وقع هاجمناه فأخذناه أسيرا
فاستخبرنا القوم وإذا هم من أصحاب محمد ومقدمهم
ضرار بن الأزور بن طارق وها هم معنا نسير
بهم قال فأظهر يوقنا الفرح وقال
وحق ديني لقد فزت بالفخر العظيم بأسرك

لهذا الغلام فلقد بلغني عنه ما فعله بأبطال الشام
وفرسان الروم ثم ساروا يريدون الملك
قال الواقدي رحمة الله عليه وحدثني بشار بن
عوف عن صالح بن عبد الله عن جده مسروق
قال فتح المسلمون اعزاز وترك مالك الأشتر
عليها سعد بن عمير الغنوي ورجع المسلمون
بالغنايم إلى حلب واستبشر أبو عبيدة بسلامة
الناس وسأل عن يوقنا فحدثه مالك في السر
بقصته وأنه قد مضى إلى انطاكية لينصب
على كلب الروم فقال أبو عبيدة الله ينصره
ويظفره ثم كتب أبو عبيدة إلى عمر كتابا
يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أبي
عبيدة إلى أمير المؤمنين سلام عليك فإني
أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فإن الله

فتح

فتح علينا ما استصعب من قلعة حلب وأردفها باعزاز
وأن البطريق يوقنا قد أسلم وحسن إسلامه وقد
رجع عونا للمسلمين وقد كتبت هذا الكتاب ونحن
معولون على المسير إلى إنطاكية ونحن طامعون
بأخذ سرير كلب الروم وكنوزه فزودناه بالدعا
فإنه زاد المؤمنين ودمار الكافرين والسلام
عليك وعلى من معك من المسلمين ثم استخرج الخمس
وسلمه لرياح بن غانم اليشكري وضم إليه مائة
فارس من الأنصار وساروا نحو المدينة ثم إن
أبا عبيدة ادعا بضرار بن الأزور وضم إليه مائتين
فارس وأمره أن يقصد شمال الشام ويشن الغارة
على الروم فركب ضرار والمائتان وسار معهم
سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل
ضرار يسير ومن معه وقد قدم رجلا من المعاهدين
يدلهم فلما وصل إلى دابق قال لهم المعاهدي

علقوا على خيولكم فإن البلد منكم قريب فإذا
كان وقت السحر عزتم عليهم قال فنزلوا واستراحوا
وعلقوا فما شعرنا إلا والهايم بن جبلة قد كبسهم
فلما وقع الصايح ركب ضرار على جواده ومعه
مائة كانوا بالقرب منه وأما المائة الأخرى
فإنهم ما استيقظوا إلا وقد داستهم الخيل ونفرت
خيلهم وقت الصايح فقاتلوا رجالة وما وصل
إليهم عدوهم إلا وقد قتل كل واحد منهم
خصمه ثم أسروا المائة وأما ضرار فإنه
صاح بأصحابه وقال يا فتيان العرب هؤلاء
أعداكم قد هاجموكم على حين غفلة
منكم وهم عرب مثلكم وهذه أفضل الساعات
عند الله فقدموا عزمكم فإن الجنة تحت
ظلال السيوف وقد قال الله عز وجل كم من
فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع

الصابرين ثم حملنا على المتنصرة وضرار يقدمنا وهو
يقول

ألا فاحملوا نحو اللئام الكواذب • وردوا سيوفا من دما الكتايب
وذبوا عن الدين المعظم في الورى • وأرضوا إله الخلق يوم المواهب
فمن كان فيكم يبتغي عتق رقبة • من النار في يوم الجزا والمآرب
فيحمل في الأعدا حملة ضيغم • ويرضي رسولا صادقا غير كاذب

قال الواقدي ثم حمل ضرار ونحن من ورائه
وبذلنا أسنتنا وسيوفنا في المتنصرة وضرار
كالنار في الحطب والهايم بن جبلة يتعجب من
حملاته وضرباته فأمر قومه أن يقصدوا
جواده بأسنتهم وسهامهم ففعلوا ذلك

فانصرع الجواد ووقع ضرار وتكاثرت عليه المتنصرة
وأخذوه أسيرا وشدوا أكتافه وأخذوا بقية
أصحابه وساروا يريدون إنطاكية فالتقوا
بنو قنا وابنة الملك كما ذكرناه قال
الواقدي رحمه الله وكان سفينة مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حرب ضرار أسيرا
فلما كان من الليل انطلق هاربا إلى أبي
عبيدة فإذا هو بأسد قد عارضه في الطريق
فقال يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان من أمري كيت وكيت
فأقبل الأسد يبصبص بذنبه حتى قام إلى
جانبي وأشار برأسه إلي فسرت حتى أتيت
موضع صلحنا ثم تركني ومضى قال
ووصل سفينة إلى الجيش وحدث المسلمون
بأسر ضرار ومن معه فصعب ذلك على

المسلمين وبكى أبو عبيدة وخالد على ضرار وبلغ
الخبر إلى أخته خولة فاسترجعت وبكت
وأنشدت فيه الأشعار وقالت

ألا مخبرا بعد الفراق يخبرنا
فما ذا الذي يا قوم أشغلهم عنا
ولو كنت أدري أنه آخر اللقا
لكنا وقفنا للوداع وودعنا
ألا يا غراب البين هل أنت مخبري
وهل بقدوم الغائبين تبشرنا
لقد كانت الأيام تزهو بقربهم
وكنا بهم نزهو وكانوا كما كنا
لئن رجعوا يوما إلى دار عزهم
لثمنا خفافا للمطايا وقبلنا
ولم أنس إذ قالوا ضرار مطرح
تركناه في أرض العداة وودعنا

فما هذه الأيام إلا مفازة ۞
وما نحن إلا مثل لفظ بلا معنا ۞
سلام على الأحباب في كل ساعة ۞
وإن بعدوا عنا وإن منعوا منا ۞

قال الواقدي رحمه الله لقد بلغني عن واحد بن أبي عون أنه قال اجتمعن النسا من العربيات ممن أسرت لها أسيرا مع ضرار في بيت خولة وفيهن مزروعة ابنة عملوق الحميرية وكان ولدها صابر بن أوس فيمن أسر فجعلت تقول

أيا ولدي قد زاد شوقي تلهبا ۞
وقد أحرقت مني الشؤون المدامع ۞
وقد أضرمت نار المصيبة شعلة ۞
وقد حميت مني الحشا والأضالع ۞
وأسأل عنك الركب أن يخبروني ۞
بحالك كيما تستكن المضاجع ۞

فلم يك فيهم مخبرا عنك صادقا ۞
ولا فيهم من قال أنك راجع ۞
فيا ولدي مذ غبت كدرت عيشتي ۞
فقلبي صدوع ثم طرفي مدامع ۞
وفكري مقسوم وعقلي موله ۞
ودمعي مسفوح وداري بلاقع ۞
فإن تك حيا صمت لله حجة ۞
وإن تكن الأخرى فما الحر جازع ۞

قال الواقدي رحمه الله وأما ما كان من أمر يوقنا وابن جبلة فإنهم ساروا إلى انطاكية وسبق البشير إلى الملك بقدوم ابنته والهايم بن جبلة ويوقنا والمأتي أسير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الملك بإظهار الزينة والصدقات والخلع على فقراء الروم وخرج الملك إلى لقائهم وقد ترجلت الملكية

والسريرية بين يدي الملك وخرج كل من
بانطاكية وقدموا أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم مشدودون بالقد والروم
تشتمهم وقد دار عليهم رجال الهايم بن جبلة
وزفت بنت الملك إلى قصر أبيها وخلع الملك
على الهايم بن جبلة وعلى يوقنا وكبار
أصحابه وأمر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمثلوا بين يديه فقال لهم الحجاب
عظموا الملك بالسجود بين يديه فقال ضرار
إنا لا نرى السجود لمخلوق وقد نهانا نبينا
عن ذلك قال فخاطبهم الملك من غير ترجمان
وأراد أن يعلم بطارقته وحجابه وأصحابه
بما كان قد حذرهم حين بعث محمد
صلى الله عليه وسلم وذلك أنه جمعهم إليه
وقال هذا النبي المبعوث الذي بشر به

المسيح وهو صاحب الوقت ولا بد أن دينه يظهر حتى
يملأ المشرق والمغرب ثم دعاهم لأداء الجزية
فأرادوا قتله فأراد يومهم ذلك أن يبين لهم حقيقة
قوله وأنه ما أراد بذلك إلا حقيقة أمرهم وصلاح
حالهم فقال للصحابة من يخاطبني منكم فأشار
إلى قيس بن عاصم الأنصاري وكان شيخ معمر
شهد جميع أحوال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومعجزاته فقال له هرقل أخبرني
كيف كان مبدأ نزول الوحي على نبيكم
فقال قيس قد سأل عن هذا السؤال الحارث
ابن هشام لنبينا فقال يأتيني أحيانا مثل صلصلة
الجرس وهو أشده علي فينفصل مني وقد وعيت
منه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا
يكلمني قالت عائشة رضي الله عنها والله لقد
كان ينزل عليه في اليوم الشديد البرد

فينفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا وأول
ما بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي
الرؤيا الصالحة في النوم وكان لا يرى رؤيا
إلا جاءت مثل فلق الصبح وذكر له مبادئ
الوحي فجاءه الملك فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ
قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني
ثم قال اقرأ ثم أخذني الثانية فقال اقرأ
قلت ما أنا بقارئ فقال اقرأ باسم ربك الذي
خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك
الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم
يعلم ولقد حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء
فرفعت رأسي فإذا الملك الذي قد جاءني بحرا
وهو جالس على كرسي بين السماء والأرض
فرعبت منه فرجعت وقلت زملوني زملوني

فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك
فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ثم تتابع الوحي
ثم قال له قيس ولقد كنا يوما عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذ دخل علينا رجل فقال
يا ابن عبد المطلب إني أسألك بالله ربك ورب من
قبلك الذي خلقك وخلق من قبلك الله أرسلك
إلى الناس كلهم قال اللهم نعم فقال أنشدك
بالله الله أمرك أن تصلي هذه الخمس صلوات
قال نعم فقال أنشدك بالله الذي خلقك وخلق
من قبلك الله أمرك أن تأخذ الصدقة من أغنياء
أمتك فتردها على فقرائهم فقال اللهم نعم
ثم جعل يسأل عن فرائض الإسلام وهو يقول
له نعم فقال الرجل آمنت بما جئت به وأنا
رسول من وراء قومي وأنا ضمام بن ثعلبة قال
هرقل بحق دينك ما الذي رأيت من معجزاته قال

كنت معه في سفر فأقبل أعرابي فقال له المصطفى
قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله
فقال له ومن يشهد على ما تقول قال هذه السلمة
يعني الشجرة فدعاها وهي بشاطئ الوادي فأقبلت
حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فقالت
أنت محمد رسول الله ثم رجعت إلى منبتها قال
هرقل إنا نجد في علمنا أن الرجل من أمته إذا عمل
سيئة كتبت عليه واحدة وإذا عمل حسنة
كتبت عليه عشرا فقال قيس نعم قد نزل
ذلك عليه من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن
جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها فقال هرقل
وأعلم أن النبي الذي بشر به عيسى هو الشاهد
في الدنيا والشاهد على أنفسنا يوم القيامة
فقال قيس هذه صفة نبينا لقوله تعالى
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا

وقوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فقال هرقل إن الذي قد
وصفت لك يأمر الله العباد أن يمضوا في حياته إليه
ويصلون في حياته وبعد موته عليه فقال قيس
قال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على
النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
قال هرقل إن النبي الذي وصفه المسيح يعرج به
إلى السماء ويخاطب العلي الأعلى قال قيس هو
نبينا قال الله عز وجل ثم دنا فتدلى فكان
قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى
قال قيس وكان بطريق من الروم يسمع
كلامنا وهو رأس دينهم فقال أيها الملك
إن الذي ذكرت لم يبعث بعد فقال له
ضرا أكذبت هذه اللحية الخنزيرية يا كلب
الروم وإنه هو النبي المشهور لكن حجاب

الكفر منعكم عن معرفته فقال هرقل لقد أسأت
الأدب إذ خرقت بعمدة دينا فمن أنت قال قيس
هو ضرار بن الأزور قال هرقل هذا الذي بلغني
عنه أنه يقاتل مرة فارسا ومرة راجلا قال نعم
قال فغضب البترك وقام من حضرة الملك فغضب
البطارقة لغضبه فخاف هرقل على نفسه منهم فقال
قطعوه بأسيافكم فأخذوا السيوف وضربوه
أربعة عشر ضربة إلا أنها غير قاتلة لما يريد الله
من نجاته فلما رأى البترك ذلك جلس وقال
اقطعوا لسانه فلما سمع يوقنا ذلك قال والله لا
تركت أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتقدم وقبل الأرض وقال أيها الملك ليس
هذا بالصواب وإن من الرأي ترك هذا الغلام
فإن عاش إلى صبيحة غد أخرجناه إلى باب المدينة
فضربنا عنقه فيشتفي بذلك صدور الروم

ويبلغ العرب فيوهنهم بذلك وأراد يوقنا أنه إذا
نام ليلة انكسر عنه غيظ القوم فاستصوب الملك
رأيه وقال ليوقنا خذه إليك تحفظه عليك فأخذه
وأتى به داره فداواه ففتح ضرار عينيه ولم يكن
له علم أن يوقنا ينصب على الروم وإنما ظن أنه
ارتد فقال ليوقنا ولولده إن كنتما كافرين فقد
سخركما الله تعالى لي وإن كنتما مؤمنين فمرحبا
بكما ثم قال لهما اكتبا عني وارسلا بهذه
الأبيات لأختي ثم مل عليهما وقال

ألا أيها الشخصان بالله بلغا ❁ سلامي إلى أطلال مكة والحجر
فلقيتما ما عشتما ألف نعمة ❁ بعز وإقبال يدوم مع النصر
ولا ضاع عند الله ما تصنعانه ❁ فقد خف عني ما وجدت من الضر

بِصُنعِكُما بِى نِلتُ خَيرًا وَرَحمَةً
كَذَلِكَ فِعلُ الخَيرِ بَينَ الوَرَى يَجرِي
وَمَابِى وَبَيتِ اللهِ مَوتِى وَإِنَّمَا
تَرَكتُ عَجُوزًا فِى المَهَامِهِ وَالقَفرِ
ضَعِيفَةَ حَيلٍ لَيسَ فِيهَا جَلَادَةٌ
عَلَى نَايِبَاتِ الحَادِثَاتِ الَّتِى تَجرِى
وَكُنتُ لَهَا رُكنًا لِعَقدِ رِحَالِهَا
وَأُكرِمُهَا جُهدِى وَإِن مَسَّنِى فَقرٌ
وَأَحمِى حِمَاهَا أَن يُضَامَ وَلَم أَزَل
لَهَا نَاصِرًا فِى مَوقِفِ الشَّرِّ وَالضُّرِّ
وَإِنِّى أَرَدتُ اللهَ لَا شَئَ غَيرَهُ
وَجَاهَدتُ فِى جَيشِ المَلَاعِينِ بِالسُّمرِ
وَأَرضَيتُ خَيرَ الخَلقِ أَعنِى مُحَمَّدًا
لَعَلِّى أَنَالُ الفَوزَ فِى مَوقِفِ الحَشرِ
فَمَن خَافَ يَومَ الحَشرِ أَرضَى إِلَهَهُ

وَقَاتَلَ أَبنَا الصَّلِيبِ ذَوِى الكُفرِ
كَذَلِكَ أُختِى جَاهَدَت كُلَّ كَافِرٍ
وَمَا بَرِحَت بِالطَّعنِ فِى الكَرِّ وَالفَرِّ
تَقُولُ وَقَد حَانَ الفِرَاقُ بِفُرقَةٍ
أَلَا يَا أَخِى مَالِى عَلَى البَينِ مِن صَبرِ
أَلَا يَا أَخِى هَذَا الفِرَاقُ فَمَن لَنَا
بِخُبرِ رُجُوعٍ قَادِمٍ مِنكَ بِالفِكرِ
أَلَا بَلِّغَاهَا عَن أَخِيهَا تَحِيَّةً
وَقُولَا غَرِيبٌ مَاتَ فِى قَبضَةِ الكُفرِ
جَرِيحٌ طَرِيحٌ بِالسُّيُوفِ مُبَضَّعٌ
عَلَى نُصرَةِ الإِسلَامِ وَالطَّاهِرِ الطُّهرِ
أَلَا يَا حَمَامَاتِ الأَرَاكِ تَحَمَّلِى
رِسَالَةَ صَبٍّ لَا يُفِيقُ مِنَ الضُّرِّ
حَمَامَةَ نَجدٍ بَلِّغِى قَولَ شَايِقٍ
إِلَى عَسكَرِ الإِسلَامِ وَالسَّادَةِ الغُرِّ

وقولي ضرار في القيود مكبلا
بعيد عن الأوطان في بلد وعر
وإن سألت عني الأحبة خبري
بأن دموعي كالسحاب وكالقطر
حمايم نجد غردي عند موطني
وقولي ضرار قد يحن إلى الوكر
حمايم نجد إن أتيت حيامنا
فقولي كذا أن عسرا على يسر
وقولي لهم إن الأسير بحرقة
له غلة بين الجوانح والصدر
له من العمر عشر ثم سبعة بعدها
وواحدة عند الحساب بلا نكر
وفي حسن خال محته مدامع
على فقد أوطان وكسر بلا جبر
مضى سايرا يبغي الجهاد تبرعا

فواتاه أبناء اللئام على غدر
٨٥ ألا يا حمامات الحطيم وزمزم
ألا أخبروا أمي ودلا على أمر
عسى تسمح الأيام منها بزورة
لقين غريب لا يزاد من الفكر

قال الواقدي رحمه الله ولما كتب يوقنا عن ضرار هذه الأبيات ختم الكتاب وبعثه مع رجل يثق به إلى عسكر المسلمين فلما وصل سلمه لأبي عبيدة فقرأه على المسلمين فبكوا وبلغ الخبر إلى أخته خولة فأتت إلى أبي عبيدة وقالت يا أمين الأمة أسمعني أبيات أخي فقرأ عليها بعضها قال الواقدي ولم يزل أبو عبيدة بالمسلمين حتى نزل على جسر الحديد وبلغ الخبر إلى هرقل فتمكن الخوف من قلبه وأمر بالذهب وفتح خزاين السلاح وفرق على رجاله وخلع على يوقنا وقال

قد وليتك على جيشي كله تكن مدبره قال
وأراد الملك قتل الأسارى فأشار عليه يوقنا بتركهم
فتركهم ولم يقتلهم ثم إن الملك هرقل لما
خلع على يوقنا ركب إلى كنيسة القسيان وركب
معه الملوك والبطارقة والحجاب حتى يصلوا صلاة
النصر فلما وصلوا وجلس الملك ودارت به
الحجاب أمر بالمأسورين من الصحابة أن يؤتى بهم
ليقربوهم قربانا فباس يوقنا الأرض وقال
يا عظيم الروم ما ولاك الله البلاد والعباد
إلا وقد علم أنك تسع ذلك وقد قال الحكيم
إن العقل مرقاة جليل صاحبه نبيل لأنه عز
الأجسام ومصباح الأنام واعلم أن العرب
قصدتنا ولا بد لنا من القتال فإن وقع أحد
منا في أيديهم فلا يبقون عليه والصواب
تركهم إلى أن ترى ما يؤول من أمرنا فإن أسر

من أصحابنا أحد وجدنا بمن نفادي فقالت أرباب الدولة
أيها الملك هذا هو الرأي وتكلم البطرك فقال أيها
الملك مر بإخراجهم إلى هذه الكنيسة فإنها أحسن
كنائسنا وقد احتفت بالنساء والبنات وتعرض
عليهم التنصر فلعل أنفسهم أن تميل إلى الدنيا
وزينتها فأمر الملك بإحضارهم فلما توسطوا البيعة
رفعت الأقسة أصواتها بقراءة الإنجيل وأطلقوا
البخور والند والعود فرفع المسلمون أصواتهم
بالتهليل والتكبير وكان في الصحابة رجل
من فصحاء اليمن اسمه رفاعة بن زهير فلما نظر
إلى ذلك قال الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله
محمد رسول الله كذب أصحاب الشيطان
ولا إله إلا الرحمن ليس له ضد ولا ند ولا قبل
ولا بعد أوجد الموجودات وصنع المصنوعات
وخلق المخلوقات ودبر أمر الكائنات لا يموت

ولا يفنا ولا يزول لا شريك له ولا وزير ولا صاحبة
ولا مشير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
قال واضطربت الكنيسة لقوله ومالت القسوس
بعكاكيزها إليه فأشارت حجاب الملك بتركه
فافترقوا عنه فقال هرقل ما اسمك قال أيها
الملك وما تريد من اسمي ولست من جنسكم
فتستخبرني فقال البطرك صدق ليس من جنسنا
ولا علم له بالحكمة فنشا له وإنما هو بدوي
تعلم سكنى القفار وصحبة الأشرار والحكمة
من بلادنا ظهرت ومن حكمائنا اشتهرت
وإن الفضل كله من علمائنا والعدل من ملوكنا
منا الاسكندر وبطليموس وأزمويل
وجرجس وأسطانطيس وفيثاغوس التوحيدي
وهو الذي بنا انطاكيا وأزميا وكان نبيا
ملكا وطاطاعروس وهو الذي بنا الرها

الرها ومنبج ذا اطسنس ومنا سطانيوس وهو واضع
الكتاب الأول الذي صور فيه صورة الأرض
بجبالها وبحارها وحيوانها ووصف آية كل
إقليم منها وكل معدن وجميع العجايب
قال الواقدي رحمه الله وإنما تكلم بذلك
طعنا على العرب ليسمع جبلة بن الأيهم وكان
حاضرا وكان سبب العداوة بينهما أن البطرك
كان قد بنا ديرا عظيما وجعل له عيدا في
السنة تقصد إليه الروم من كل مكان بالنذور
وبنا حوله مدينة عظيمة وسماها باسمه فاحتوى
عليها جبلة قال الواقدي لما سمع رفاعة بن
زهير قول البطرك تبسم ضاحكا من قوله
وقال أيها البطرك لقد مدحت قوما ليس لهم إلى
الفضل من سبيل ولا منهم فاضل ولا نبيل
إلا من وحد الملك الجليل الذي ليس له مثل

ولا شبه ولا عديل وإنما الفضل لولد إسمعيل
وإبرهيم الخليل الذي له البيت الحرام وزمزم
والمقام والمشاعر العظام والحل والإحرام
ومن العرب التابعة الكرام الأقيال والحماة
الأبطال الذين ملكوا الأرض ذات الطول
والعرض ومنهم سبا ابن يعرب بن قحطان
وشداد بن عاد وعمرو ذو المنار ولقمان بن
عاد والهداد بن عاد وعمرو ذو الإرعاد
وهزاز بن سكسك وهارك بن عنبان
وكان متكلما بالحكمة ومنا حمير بن تبع
اليماني ووايل ابن حمير ثم منا نبي الله حنظلة
ابن صفوان نبي أهل الزمن ومنا نقيلة بن عبد
المدان بن خشرم الذي عاش خمس ماية سنة
وهو الذي بنا المصانع واستخرج الكنوز وقاد
الجيوش وورثه الله علم نبيه حنظلة وقد ختم الله

شرفنا ورفع قدرنا إذ جعل محمدا منا فنحن السادة ٨٨
وأنتم العبيد **قال الواقدي** وبلغني أن هذا
الرجل رفاعة بن زهير بن زياد بن عبيدة بن سندبة
الحميري كان عالما بأنساب العرب وأخبارهم
وكتبهم وكان قد طالع كتب هود وصالح
وحنظلة بن صفوان عليهم السلام فلما تكلم
بحضرة الملك هرقل بذلك أراد البطرك
أن يعجزه بكلام يلقيه إليه فقال بالهمم
العالية والقرايح الزكية تصل القلوب إلى
نسيم هذا العقل الروحاني وترقى في ملكوت
الضياء والصور الخفية الفانية عن الأبصار
المحيطة بالأقطار وترتقي في رياضات الألباب
المصفاة من الأدناس وبالأفكار النورانية
تصفوا كدر الأخلاق المحيطة بالأفكار
وترتقي في رياضات الألباب من الهياكل الجسمانية

فعند الصفوة ومفارقة الكدر تعيش الأرواح
عيش الأبد الذي لا يصل إليه انحلال ولا اضمحلال
فحينئذ يلحق العنظل بالعنصل ويتخذ الصفو بالصفو
ويرسب الكدر إلى الكدر فقال رفاعة
ابن زهير ما أصبت أيها البترك في مقالتك
قال ولم قال رفاعة كيف تركن القلوب
إلى عالم الغيوب وقد حجب عنها صواب المصيب أم
كيف يتخلص الصفو من الكدر بغير مذيب
من الفكر وكيف تلحق بالأفكار غوامض
الأسرار وهي في حجب الاغترار ثم قال أيها
البطرك هذا كلام العرب الذي زعمت
أن الحكمة ليست من أخلاقهم ولا تباع في
أسواقهم ومما قاله فصيح من فصحائنا اسمه قس بن
ساعدة الأيادي هذه الأبيات

ألا إننا من معشر سبقت لهم

أيادٍ من الحسنى فعوفوا من الجهل

ولم ينظروا يوماً إلى دار مجرمٍ
ولا عرفوا إلا البقية في الفعل

وفينا من التوحيد والعقل ما هد
عرفناه والتوحيد يعرف بالعقل

نعاين ما فوق السموات كلها
معاينة الأشخاص بالجوهر المحل

ونعلم ما كنا ونعلم أيننا
وما نحن بالتصوير في عالم الشكل

وإنا وإن كنا في مركز الثرى
فأرواحنا في عالم النور تستعلي

فلا ترض بالدنيا مقاماً وإن ترت
حقيقة ممثول وجلت عن المثل

قال الواقدي وكان لرفاعة بن زهير
الجرهمي ولد غلام قد أسر معه وكان قلبه يميل

إلى الكفر وكان أبوه يدعو عليه فلما اشتغل
ابن رفاعة مع البطرك في المناظرة أقبل ولده
عامر فحدق نظره إلى البيعة وإلى زينتها وصورها
وصلبانها وتأمل إلى نساء الروم وزينتهن فبادر
إلى تقبيل الصلبان وأشرك بالواحد المنان
فلما نظر إليه أبوه بكى وقال يا ويلك طردت
من باب الرحمن يا ويلك كفرت بالملك الديان
يا طريد القدرة يا من بعد عن الحضرة والله ما
بكائي على فراقك في الدنيا لأن فراق الدنيا
لا بد منه وإنما بكائي على فراقك في الآخرة
إذا سلكت أنت طريقا وسلكت أنا في
طريق إذا مضيت أنت إلى دار الأبالسة
وحشرت مع الرهبان والشمامسة وتكون
في طبقة النار السادسة وأنا أمضي مع أمة
محمد عليه السلام إلى دار فيها الحور الحسان

والوصايف والولدان ولباس أهلها اللؤلؤ والمرجان
يا بني لا تختر على الآخرة شهوات الدنيا واخجلتي من
فعالك إذا وقفت بين يدي المولى يا بني لقد فضحت
شيبة أبيك إذ كفرت بعالم السر والنجوى يا بني
كيف طاب قلبك أن تبرأ من محمد المصطفى
يا بني ممن تطلب الشفاعة غدا ثم قال
يا بني غرتك الحياة فصرت تكفر بالعليم
يا بني صرت إلى الشقا من بعد صرفك في النعيم
يا بني ما تخشى العذاب إذا عبرت على الجحيم
ما تستحي من أحمد يوم القيامة والرحيم
أين الفرار إذا دعاك الله في اليوم العظيم
ويقول يا عبدي كفرت بواحد صمد قديم
أما أبوك فإنه يبقى على عيش ذميم
أما لك يا ولدي بما قد كان في الزمن القديم
من حنتي وتعطفي حال الرضاعة والفطيم

إلا رجعت إلى الذي غطاك بالستر العميم
قال الواقدي رحمه الله فقال وله قد أسبل الحجاب
وغلق الباب قال فحل من الوثاق وعمد به إلى ماء
المعمودية ودارت عليه الأقسة ونصروه ووقعت
عليه الخلع من البطارقة والملوك ووهب له الملك
مركوبا وجارية ومنزلا وضمه إلى جبلة ابن
الأيهم ثم قال هرقل يا معاشر العرب قد بلغنا
أن خليفتكم يلبس المرقعة وقد وصل إليه من
أموالنا وذخايرنا ما يكل الوصف عنه فما منعه
أن يتزيا بزي الملوك فقال رفاعة منعه من
ذلك الآخرة والفزع من جبار الجبابرة قال
فما صفة دار إمارته قال مبنية بالطين قال
فمن حجابه قال الفقراء والمساكين قال فما
بساطه قال العدل والتمكين قال فما سريره
قال العفة واليقين قال فما خزاينه قال الثقة

برب العالمين قال فما أبطاله قال أبطال الموحدين
أما تعلم أيها الملك أن جماعة قالوا له يا عمر قد
ملكت كنوز القياصرة وأذللت البطارقة
والأكاسرة فهلا لبست ثيابا فاخرة قال
إنكم تريدون زينة ظاهرة وأنا أريد رب
الأولى والآخرة لا جرم لما بدا هذا القول وأظهر
أشار إليه منادي القدر الذين إن مكناهم
في الأرض أقاموا الصلوة وآتوا الزكاة وأمروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر فأمر الملك بهم
إلى السجن وخرج من كنيسته إلى عسكره
ليشرف على الخيم والسرادقات فرأى سرادقات
البطارقة قد ضربت وبان لكل خيمة كنيسة
من الخشب مدهونة والأجراس على أبوابها
فطاف الملك على عسكره بأجمعه وأراد الدخول
إلى انطاكية وإذا فوارس تركض إليه

فقالت الحجاب ما وراكم قالوا ملك جسر الحديد
وحصل العرب معنا قال فأيقن الملك بزوال ملكه
قال وكيف أخذت العرب الجسر وفيه ثلثمائة
مقاتل قالوا أيها الملك المقدم هو الذي سلم قال
الواقدي رحمة الله عليه وكان من حسن صنع
الله بالمسلمين أن حامية الملك كان يمضي في
كل يوم إلى الجسر ويوصي من فيه بالحفظ
وأنه مضى في بعض الأيام فوجدهم يشربون
وهم في غفلة عن الجسر فأخذهم وضرب
كل واحد منهم خمسين مقرعة وهم أن
يقتل مقدمهم ثم تركهم وعاد قال وعمل
الحقد في قلوبهم فلما قدم المسلمون أخذوا
منهم أمانا وفتحوا لهم الباب ودخل جيش المسلمين
قال الواقدي لما وصل المسلمون بأرض انطاكية
قال أبو عبيدة لخالد يا أبا سليمان قد صرنا في

بلد كلب الروم فما ترى من الرأي فقال خالد أنت
تعلم أن الله تعالى قال وأعدوا لهم ما استطعتم من
قوة من أصحابك أن يتأهبوا ويلبسوا ويظهروا زينة
الإسلام وقوة الإيمان ولتكن الكتايب
تتلو الكتايب والمواكب تتلو المواكب
ولينشروا راياتهم ويظهروا سلاحهم قال
ففعل أبو عبيدة ذلك فأول ما عقد راية لسعيد
ابن زيد بن عمرو بن نفيل وضم إليه ثلاثة
آلاف فارس وسيره على المقدمة ثم عقد راية
أخرى وسلمها لعميرة بن رافع الطائي وضم إليه
ألفي فارس ثم بعثه في أثر سعيد ثم عقد
راية ثالثة وسلمها لمالك بن الحارث الأشتر
وضم إليه ثلاثة آلاف فارس ثم عقد راية
رابعة وسلمها لخالد بن الوليد وهي العقاب
التي عقدها أبو بكر الصديق رضي الله عنه

وسار خالد في عسكر الزحف في أثر مالك الأشتر
قال فلما بعد خالد رحل في أثره أبو عبيدة ببقية
الجيش وسار من ورايه النسوة اللواتي لهن الأسرى
منهن خولة بنة الأزور أخت ضرار وعفيرة بنت
عفار ومزروعة وأم أبان وليس فيهن أشد حزنا
من خولة قال الواقدي ومما قالت في أسر أخيها
هذه الأبيات

أبعد أخي تلذ الغمض عيني ... وكيف ينام مقروح الجفون
سأبكي ما حييت على شقيقي ... أعز علي من عيني اليمين
فلو أني لحقت به قتيلا ... لهان وإنه عين المهين
وكنت إلى السلو أرى طريقا ... وأعلق منه بالحبل المتين
وإنا معشر من مات منا ... فليس يموت موت المستكين
وقالوا كم بكا قلت مهلا ... ألا أبكي وقد قطعوا يميني

قال الواقدي وسار أبو عبيدة بموكبه كما
ذكرنا فبينما الروم في خيامها إذ وقع الصايح

بقدوم العرب فركبوا خيولهم وصفوا صفوفهم
فأول من أشرف عليهم عبد الرحمن بن أبي بكر
الصديق رضي الله عنه ومن بعده المسيب بن نخبة
الفزاري ثم ميسرة بن مسروق العبسي ثم خالد
ابن الوليد ثم طلع أبو عبيدة فلما نظر الملك
إلى جيش العرب وأنهم نزلوا بفنايه ترك على
حفظ جيشه حاجبه الكبير وكان شجاعا بطلا
ثم دخل الملك إلى كنيسة القساس وجمع
الملوك والبطارقة والحجاب وقال يا أهل دين
النصرانية قد حذرتكم من هذا المقام
من زوال ملككم وذهاب عزكم وقد
قرب ما حذرتكم منه فلم تقبلوا مني وهولاء
القوم قد حلوا بدار ملككم فقاتلوا عن
حريمكم وأموالكم وأنفسكم وإياكم
والفشل ولا يلحقكم في الجهاد الكسل

لقد جاهدت فيكم جهدي وأنفقت مالي وخزايني
ورجالي فلم يسعدني سعاده ولا بلغت من هولاء
القوم إراده قال الواقدي رحمه الله ولما
وعظ هرقل قومه بالكنيسة واستحلفهم الا ينهزموا
أو يموتوا عن آخرهم فحلفوا ثم خرج الملك إلى
عسكره ورفعت الصلبان وقرؤا القساقسة
والرهبان وارتفع الضجيج من أهل الكفر والطغيان
وزحفوا للقتال فعندها ركب أبو عبيدة
والمسلمون ووقف كل أمير في مركزه
ونشرت رايات الإسلام ووقف أبو عبيدة
في موكبه وأشار إلى ربيعة بن معمر وكان
فصيحا فقال يا ربيعة فوق سهام وعظك
إلى قلوب المسلمين وحرض المجاهدين على
المشركين قال فتقدم ربيعة أمام المسلمين
وكان جهوري الصوت وكان شجاعا وقال

أيها الناس إلى متى هذه المهلة فتأهبوا للحملة فهذه
طيور الأرواح قد عولت على فراق أشخاص الأشباح
وقد ارتاحت إلى باريها وأجابت مناديها وهذه
رايتكم بالنصر مؤيده وهممكم عن طلب
زينة الدنيا متحيده والمواعظ الصادقه بكلام
الحق مقيده أينما تكونوا يدرككم الموت
ولو كنتم في بروج مشيده قال فلما استوت
الصفوف كان أول من خرج من الروم للبراز
شجاع من الروم اسمه نسطاروس كأنه برج
حديد فلما توسط الميدان طلب البراز فخرج
إليه دامس أبو الهول مولى بني طريح الفاتح
لقلعة حلب وهو يومئذ فارس فحمل بعضهما
على بعض فلما اشتعلت نار الحرب بينهما عثر
جواد دامس به فسقط عن ظهره فمال عليه نسطاروس
فأخذه أسيرا وقاده إلى سرادقه ثم رجع نسطاروس

وطلب البراز فخرج إليه الضحاك بن حسان الطائي
وكان يشبه خالد بن الوليد في ركبته وصفته
فلما برز له قال قائل من الروم ممن شاهد قتال
خالد في المواطن هذا فارس المسلمين الذي فتح
بلادنا وقتل أبطالنا فتطاول جيش الروم ينظرون
للمبارزة وهم يظنون أن الضحاك بن حسان الطائي
خالد بن الوليد فازدحمت الخيل وقطعت حبال
السرادقات وكان من جملة ما انقطع سرادق
نسطاروس ووقع سريره فخاف الفراشون إن
هو عاد ورأى سرادقه على تلك الحالة قتلهم
ولم يجدوا أحدا يعينهم على رفع السرادق لأن
كل من في العسكر مشتغل بالنظر إلى نسطاروس
وخصمه فاتفق رأي الفراشين وكانوا ثلاثة
على حل دامس تعالوا لنحل وثاقك وتعيننا
على شيل أعمدة السرادق فإذا جاء البطريق

سألناه فيك فيخلي سبيلك على شرط أنا نردك إلى الأسر
قال نعم فحلوا وثاقه فلما وجد الراحة من القيد
هجم على الاثنين وأخذ أحدهما بيمينه والآخر
بشماله وصدم بهما الثالث فدوخه ووقع من
شدة الصدمة وضرب أحدهما بالآخر فقتلهما
ودار على الثالث فقتله وفتح صندوقا من الصناديق
وإذا فيه ثياب نسطاروس فلبسها وركب
جوادا من خيله وتنكر وقصد عسكر المتنصرة
ووقف بإزاء حازم بن عبد يغوث الغساني وقد
قدمه جبلة على عساكر المتنصرة قال الواقدي
ولم يزل القتال بين نسطاروس وبين الضحاك
ابن حسان إلى أن تعب الجواد من الكر والفر ولم
يقدر أحد منهما على خصمه فافترقا وعاد نسطاروس
إلى سرادقه فوجد سرادقه على الأرض والفراشين
قتلى ونظر فلم ير داميسا فعلم أن المصيبة من تحت

يديه فمضى إلى الملك وأعلمه بذلك فقال وحق ديني
ما هؤلاء العرب إلا الشياطين وماج العسكر بصنع
أبي الهول وقالوا ما قصد إلا الجيش المتنصرة ونظر
داميس إلى العسكر وجولته فعلم أن ذلك من
سببه فانتضا سيفه على حين غفلة وكان أخذ
السيف من سرادق نسطاروس وضرب به حازم
بن عبد يغوث فأبان رأسه عن جسده وبهتت
المتنصرة من فعله ودهش القوم فأطلق عنان
جواده وطلب عسكر المسلمين فلما نظروا ذلك
وقع التهليل والتكبير ووقف أمام أبي عبيدة
وحدثه بحديثه فقال لا شلت يداك قال وسمع
هرقل وجبلة بقتل حازم فغضب جبلة وقال
يا عظيم الروم إنا لا نقدر على الصبر ولا بد من
الحملة فهم الملك أن يأمر بطارقته بالحملة
وإذا قد أقبل خيل تركض إليه وقال

ما وراءكم قالوا أيها الملك قد قدم إلى نصرك
قلنطانوس صاحب أرومة الكبرى قال فركب
الملك إلى لقائه وباسمرجه سميت وكان قد
وضع فيها هيكلا عظيما يسمى أناسوقنا وصورة
من نحاس مطلى بالذهب وعلى الباب هيكلا وعلى
رأسه رجلا بألواح من ذهب في كل عام يعلو أحد
على الهيكل فينظر كل من ذلك الهيكل في
ذلك اللوح فيعلم ما يجري في الأقاليم المختص بذلك
اللوح وكذلك كل هيكل من تلك السبعة
هياكل يعلمون أهل أرومة الكبرى ما يجري
في العالم بعلوم حكمائهم الأقدمين وأوسط
تلك الهياكل قبة متمنة على أعمدة من نحاس
مطلية بالذهب يحوطها صور فثانها الأعظم
على رأسها صورة من حجر بل هو أسود موقط ببياض
فإذا كان أول استواء الزيتون في مشارق

الأرض ومغاربها سمعوا فيه صوتا هايلا تكاد العقول
تنفطر منه فإذا كان من غد يقبل من آفاق الأرض
زرازير في مناقرها وأرجلها الزيتون فتلقيه
على رأس ذلك الشخص فلا يزال كذلك حتى يملا
منه ذلك الموضع الأعظم فيعصرون منه زيتا
يكفيهم لعامهم وكان في داخل الهيكل
الأعظم بيت بقفل لم يفتح منذ بنيت رومة
ولما أراد فليطانوس النهوض إلى نصرة هرقل
احتاج إلى المال لينفق في عسكره وأتى إلى
البيت وهم بفتحه فقال له القيم بأمر الهياكل
والكنيسة أيها الملك إن هذا البيت قد قفل
سبع مائة سنة وما أحد يلي أمر هذه الهياكل
إلا ويوصى على هذا البيت لا يفتح ولقد بنا هذه
الهياكل وأسس هذه الهياكل جدك وقد
بلغنا أنه بقي في ملكه ثلاث مائة سنة وكان

يوصى على هذا البيت أن لا يفتح ثم ولي أبوك
سطاليوس ثلاثمائة وسبعين سنة كوصية أبيه
ولا تزال حكمة أسسوها وطلاسم صنعوها
قال فأخذ اللجاج في فتحه فلما فتحه لم يجد بالبيت
شيئا إلا ما دار بالبيت صورة بيت المقدس بالشام
وصفة ملوكهم وعددهم وفي آخرهم صورة
هرقل وكأنه ينظر إلى اللوح بين يديه
وفي اللوح مكتوب بالسريانية يا طالب
العلم عليك بكثرة القراءة فيه فإنه كلما تكرر
مرور النكت على المسامع بتعليمها كان ذلك
أشد لقوته وأحكم لتصرفه إذ العلوم كلها
إنما تستخرج بالعقل والقياس إنما يكون بكثرة
الرياضة فيه والعلم فطنة التدبير والتدبير
بوضع العلم والعلم بوضع العقل والعقل هو المتمم
لإشكال العلوم وقد رأينا في الحكم ٥

والأسرار الخفية أن سحاب الغماية وظل الضلالة
إذا خيمت على صفة الأرض خرج مصباح الهداية
من أرض تهامة فيلهب بظلام الجهل المظلم للحس
ويدعوا الناس إلى دينه وتوحيد الصانع وهو
صاحب الجمل الأورق فيذهب بالأديان والملك
وتطبق دعوته السهل والجبل فإذا غلبت لطافة
نوره على كل كثيف وانتقل روحه إلى العالم
الروحاني ولي بعده رجل نحيف الصورة قلبه منور
بنور الصدق فيستدركه ويصدق شريعته
فويل للشام ما ذا يحل بها من الرجل الأحور الذاهب
بملك قيصر هو الرجل الكثيفة صولته المربعة
صورته والحق منعته **قال الواقدي** فلما قرأ
فيلطانوس ما في اللوح أخذه التعجب وقال لفطاوس
صاحب الهياكل والمقيم بأمرها أيها الأب
الشفيق ما تقول في هذه الحكمة قال فطاوس

ايها

أيها الملك وما ذا أقول في حكمة صنعتها الحكماء المتقدمون
وتكلمت بها العلماء وإنما العلوم غامضة تصل إلى
الحس الجوهري بنور العقل وإن فليطس وهو هرقل
قد وها عمود عزه وانهدمت قبة ملكه من
أرض سورية وانتقل ملك الروم إلى بيليبول يعني
القسطنطينية وبذلك أخبر قبراس الحكيم في
كتابه الذي صنفه وسماه أسلاروس يعني جواهر
الحكمة ومن جملته إذا طلع نور الشمسية المصفا
من الأدناس فأنار بصفائه الأذهان النورانية
وصرف الظلمة المتكاثفة في سماء الجهل بقوة عزمته
ودعا الناس إلى لطف صنعته وقادهم بأزمة
لطافته ويعلوا على الأفلاك وبل أرض سورية
وأهلها من صولة صاحبه المتوشح بوشايح الهيبة
والمتوج بتاج الفضل صاحب فتوح الأرض وملك
ملوكها بالعدل قسطاسه والمرقعة لباسه

في زمانه ينكسر الصليب وتخرب الهياكل وتندرس
المواهب وتذل أهل ماء المعمودية فلا نجاة من صولته
إلا باتباع شريعة صاحبه **قال الواقدي**
فلما سمع فيلطانوس ذلك من أمر القايم بأمر
الهياكل كتم الأمر في نفسه وقال لا بد لي
من النظر إلى العرب والمسير إليهم لنصرة الملك
هرقل ثم إن فيلطانوس اختار من عسكره ما يريد
ونصب ولده اسقلوس مكانه في مملكته واستخرج
من بيت الحكمة رايات الاسكندر اليوناني
وكانت منسوجة بالذهب الأحمر وكانت
لا تنشر إلا يومين في السنة في بيعة اباسوقنا
وهو يوم عيد الصليب وعيد الشعانين ولما
رفعت الرايات على رأس فيلطانوس سار حتى
ورد انطاكية ونزل على باب فارس وركب
الملك هرقل إلى لقايه ونصب سرادقه بإزاء

سرادق الملك وفرحت الروم وضربت بالأجراس
وارتفعت أصوات الروم وإذا العيون من المعاهدين
قد أتوا إلى أبي عبيدة وأخبروه بقدوم فيلطانوس
ملك أرومة الكبرا فقال أبو عبيدة اللهم شتت
شملهم وخالف كلمتهم واجعل كلمتنا هي العليا
وكلمتهم السفلى وانصرنا عليهم وأمنت المسلمون
على دعايه قال الواقدي أخبرني إبرهيم بن العلا
قال أخبر أبو يوسف الكندي عن أبي جعفر
الرازي عن الربيع بن أنس قال أخبرني حفص بن
ميسرة بن مسروق العبسي قال لما قدم فيلطانوس
صاحب أرومة الكبرى إلى انطاكية خافت
المسلمون ولكن الله ثبتهم ثم إن أبا عبيدة
بعث معاذ بن جبل ومعه ثلاثة آلاف فارس
من طي وغيرها وقال يا صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن الروم قد جمعت من سواحل الشام

لنصرة دينها فانهض وشن الغارة على بلاد الساحل
واحتفظ بالمسلمين فسار معاذ بن جبل رضي الله عنه
وشن الغارة على جبلة واللاذقية فاحتوش
أموالها وأخذ غنايمها ووجد على باب جبلة واليها
وكان اسمه عنان بن جرهم الغساني وكان
ولاه عليها جبلة لعنه الله وكان معه ألف
فارس من المتنصرة ومعه ألف جمل من بر وشعير
وهو ساير بهم إلى عسكر الملك هرقل وكان
قد بعثها القسطنطينية ابن الملك هرقل فلما
وصلت القافلة إلى مدينة جبلة سلمها
صاحب قسطنطينية إلى عنان بن جرهم المتولي
على جبلة فوقع بها معاذ بن جبل فأخذها
معاذ وعاد إلى عسكر المسلمين فلما وصل
إلى جيش المسلمين ارتفع للمسلمين ضجيج بالتهليل
والتكبير فلما سمع الملك ضجيج المسلمين

أنفذ جواسيسه فأخبروه بالخبر فصعب عليه أخذ
الميرة التي كان يعتمد عليها وقال لقومه ما بقي بيني
وبين هاؤلاء القوم إلا المصاف وينصر الله من يشاء
ثم إن الملك هرقل ركب وركب إلى جانبه
فيلطانوس وصاحب مرعش وصاحب اسكنارس
قال الواقدي وأقبل يوقنا يرتب الصفوف
ويعبيها تعبية الحرب فلما وقف كل ملك
بجيشه أراد فيلطانوس صاحب أرومة الكبرى
أن يتقرب إلى الملك هرقل لمبارزته إلى العرب
فصقع بين يدي الملك هرقل وقال أيها
الملك ما تركت ملكي وأقبلت إليك إلا لرضا
المسيح وأريد أن أبرد قلبي بمبارزة العرب
فقال له هرقل الزم مكانك وأبق عليك حرمتك
ودع غيرك يكون لهذا الأمر فقال
فيلطانوس إني نظرت في عقلي أن هؤلاء العرب

نصروا عليكم اما أن يكون القديم الأزلي نظر
إليكم تتركون أنفسكم بحجاب الغفلة إلى
طلب ما يفنا فسلط عليكم أضعف أمة فأخرجوكم
عن دياركم وأبعدوكم عن أوطانكم
لأنكم حكمتم بغير الحق وجرتم على الرعية
بطلب ما ليس لكم بحق بأخذ أموالهم وصلاح
أحوالهم وأكثرتم الزنا واتبعتم الخنا فبذلك
لم تنصروا وكان دايرة السوء عليكم فعند
ذلك صرخ عليه صاحب الملك الكبير صرخة
عظيمة وقال لا تحمل قلب الملك من العتب
هما لا طاقة له به وإنه أكثر منك وعظا
قال الواقدي فغضب فيلطانوس لما صاح
عليه الحاجب وكتم الأمر إلى الليل فلما مضى
القليل من الليل ادعا فيلطانوس بحجابه وخواص
قومه ممن يعلم محبته له ومن يموتون لموته

ويحيون لحياته فلما اجتمعوا قال لهم أترضون أن يصيح
علي حاجب الملك هرقل ويوبخني بين الملوك
وأنتم تعلمون أن بيتي أعلا من بيته وحكمي أوسع
من حكمه وإني قد عولت أن أسير إلى هؤلاء العرب
وأدخل في دينهم وأنصر ملتهم فإنها الملة
الواضحة بالحق المؤيدة بالصدق فمن كان عليها أمن في
معاده امن من الهول الأكبر فما أنتم قايلون
قالوا له أيها الملك وكيف يطيب على قلبك تترك
دينك وملكك وتتبع قوما لا فضل عندهم ولا
حكمة فقال لهم فيلطانوس إنما الحكمة البالغة
عندهم مقرها وفي نفوسهم وطنها لأن نور
التوحيد يصفي أذهانهم ببركة نبيهم المسمى
بعلم الغيوب لأن مغناطيس حكمته الربانية
جذبت جوهر قلوبهم وعقولهم إلى متابعته
والاقتدا بشريعته ومن أراد أن يرقا إلى أعلا

عليين فلا يقعد على أرض الجهل أما علمتم أن النور
أنور من الظلمة والموت غايته الحياة قالوا له قومه
لما سمعوا قوله أيها الملك نحن ما تبعناك لنطلب
عزا أجره الذل فإذا كنت تطلب بنا طريقا
تؤدي إلى دار البقاء وتذهب بالشقاء فالأحق
اتباع الحق ونحن لك وبين يديك قال لهم
خذوا على أنفسكم فإذا كانت ليلة غد
ركبنا كأننا نطوف بجيش الملك ثم نطلب
جيش المسلمين ففعل القوم ذلك وافترقوا
وأخذ فيلطانوس أمواله وذخايره وعول
على ما ذكرناه قال الواقدي رحمه الله أخبرني
ابن عبد الأعلا قال أخبرني ابن وهب قال
أخبرني معاوية بن صالح عن موسى الشرعي قال
لما عزم فيلطانوس أن يسير إلى جيش المسلمين
جاءه يوقنا برسالة من عند الملك هرقل فلما

أعطا يوقنا الرسالة وهم بالقيام قال له فيلطانوس
من أنت من حجاب الملك قال له أنا يوقنا صاحب
حلب قال له كيف تركت ملكك حتى استولت
عليه العرب فحدثه يوقنا بحديثه قال له فيلطانوس
فما الذي ظهر لك من هؤلاء العرب قال أيها
الملك إني رجعت إلى دينهم حين شارفت أحوالهم
وكشفت سرهم ورأيت القوم لا يتبعون
الباطل ولا يحيدون عن الحق ولا ينامون الليل
ولا يتكلمون بغير ذكر ربهم ينصفون
المظلوم من الظالم ويواسي غنيهم فقيرهم
أميرهم في زي المساكين والعزيز والذليل
عندهم سوا فقال له فيلطانوس فإذا وقفت
على سرهم ورأيت فضلهم ما منعك أن
تقيم عندهم قال له يوقنا ما منعني من ذلك
محبة ديني ومحبتي لقومي فقال له فيلطانوس

إن النفوس الزكية والألباب الباقية إذا رأت الحق جذبها
جاذب النفوس إلى طلب الخلاص من العيشة الذميمة
إلى أن ترقا إلى أعلا عليين فعند ذلك خرج يوقنا من
عند فيلطانوس وقد رسخ قوله في قلب يوقنا وقال
والله ما تكلم فيلطانوس بشيء إلا وهو منقوش على
صفيحة ذهنه وكلامه يشهد بقبول عقله لصحة
دين الإسلام وأقام يوقنا على قلق من ذلك حتى جن
الليل ثم تسيب على حال الخفا ودخل على فيلطانوس
فوجده على نية الركوب إلى ما ذكرناه فلما
وقف بين يديه صقع له فقال له فيلطانوس الحق
واضح على من طلبه والباطل خفيف على من اتبعه
فقال له يوقنا أيها الملك ما معنى الكلام
الذي أشرت به إلي قال له فيلطانوس لو أنك
رأيت بعين البصيرة ما رجعت أنت عن ملتهم ولا
طلبت بدلا بغيرهم وإنما طلبت أنت النعيم

الذي يؤول إلى الزوال ويفضي بصاحبه إلى النكال
فسكت يوقنا وخرج من عنده وجعل يتجسس عليه
ووقف له على طريق المسلمين فلما ركب فيلطانوس
وخرج من سرادقه وجد قومه قد أخذوا على أنفسهم
وعدتهم أربعة آلاف فارس وقد قوي عزمهم
وقد خرجوا يدا واحدة يريدون جيش المسلمين
وقد فارقوا ملكهم وتركوا عزهم فلما ظهروا
من جيش المشركين ظهر لهم يوقنا في بني عمه
المائتين فقال له يوقنا أيها الملك عولت على أنك
تكبس جيش المسلمين قال لا والقديم وإنما أنا
قاصد لهم أدخل في دينهم وأكون أنا وأولاد
عمي من حزبهم فمن نظر إلى الدنيا بعين الفنا
عمل للآخرة فما الذي يمنعك يا يوقنا أن توافقنا
على ما نحن عليه فقال له يوقنا أيها الملك
لقد جذبك جاذب الحق عن طريق الضلالة

ثم حدثه بحديثه وأنه عازم على أن يغدو بالروم
فقال له فيلطانوس وكيف تقدر على ذلك
وما أرى معك إلا نفرا يسيرا فقال له يوقنا أيها
الملك إن في داخل المدينة من المسلمين مائتي
فارس أبطالا أشدادا وهم أسرى فإنني عازم على
خلاصهم وإن مقامهم مقام عشرين ألف فارس
من عسكر الروم والرأي عندي أن تعود ولا
تستعجل ونبعث نحن منا رجلا إلى الأمير أبي عبيدة
نخبره بما نحن فيه ومعولين عليه فإذا كان
غدا قف أنت في جيشك حول هرقل وأدخل أنا
إلى المدينة وأخلص أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتحمل جيش المسلمين كله وتحمل
أنت بعسكرك على عسكر هرقل وتقبض على
الملك هرقل وأحمل أنا من داخل المدينة
في بني عمي وفي المائتين من أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم فتملكها إن شاء الله تعالى وإن أردت
أن ترجع إلى ملكك ويكون أمرك مكتوما عن
غيرك قال له فيلطانوس ما دخلت في دين الإسلام
ولي نية في مملكة الدنيا وإذا قضي هذا الأمر
ونصرنا الإسلام وأهله قصدت بيت المقدس
فأقيم فيه حتى أموت فمن تأمره أن ينهض بخبرنا
إلى المسلمين فقال له أعلم أن للمسلمين عندنا
جواسيس من أهل حلب ممن هو تحت الذمة
فبينما هم في المحاورة وإذا هم بعمرو بن أمية
الضمري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسلم على يوقنا ومن معه وقال له اعلم أن أبا
عبيدة يسلم عليك ويقول لك جزاك الله عن
الإسلام خيرا وأنه رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه الليلة وهو يحدثه بما كان
من أمير أرومة الكبرى وبما تحدث به مع

قومه وبما عزمتم عليه وقد بشره رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن غدا تفتح انطاكية إن شا الله
تعالى وتزول الروم منها **قال الواقدي رحمه الله**
أخبرني أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح قال
أخبرني أبو عبد الله محمد بن عمر السلمي قال حدثني
محمد بن عبد الله بن مسلم الزهري عن عبد الله
ابن يزيد الهذلي عن أسامة بن زيد عن عبد الله
ابن الحارث وكل حدث بما سمع وبلغه عن
أخبار الشام وقد زاد بعضهم على بعض في
الرواية واختصر آخرون وكل أحد قد قرب
من رواية صاحبه **قال الواقدي** حدثني
صابر بن عامر عن جده عياض ابن مزاحم أن
أبا عبيدة رضي الله عنه رأى ليلة فتح انطاكية
كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول
له يا أبا عبيدة أبشر برضوان الله تعالى وبرحمته

وغدا تفتح المدينة على يديك وأن فيلطانوس صاحب
أرومة الكبرى جرى منه كذا وكذا وهم بالقرب
من جيشك فأنفذ إليهم بنجاز الأمر فاستيقظ أبو
عبيدة وقص الرؤيا على خالد بن الوليد رضي الله
عنه ونفذ عمر بن أمية الضمري كما ذكرنا
قال الواقدي فلما سمع فيلطانوس بذلك
اقشعر بدنه وارتعدت فرايصه وقال أشهد
أن هذا هو الدين القديم والنبي الممدوح في
الإنجيل ثم عاد فيلطانوس ويوقنا فطافوا
بجيش الملك كأنهم يحرسونه فبينما يوقنا
قد انفصل بأصحابه من فيلطانوس وإذا بحاجب
الملك قد التقاه والمشاعل بين يديه وقد
خرج من انطاكية وأمامه ضرار بن الأزور
ورفاعة بن زهير والمائتين من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد عول الملك

على قتلهم في تلك الليلة فلما رآهم يوقنا قال للحاجب
ما عول الملك أن يصنع بهم قال الحاجب قد عول
الملك على قتلهم ويطرح رؤوسهم إلى المسلمين
فلما سمع يوقنا ذلك أظلمت الدنيا في عينيه وقال
أيها الحاجب الكبير أنت تعلم أن المصاف غدا
واقع بيننا وبين العرب فإذا أنتم قتلتم هؤلاء
وطرحتم رؤوسهم إليهم لا يقع أحد منا إليهم إلا
قتلوه فأبقوا عليهم فإذا وقع منا أحد إلى العرب
وجدنا عندنا من نفاديه فعند ذلك ترك
الحاجب الأسرى عند يوقنا وتحدث مع الملك
في أمرهم فقال له الملك دعهم في يد الدمستق
فرجع الحاجب إلى يوقنا وقال له يقول لك الملك
احتفظ بهم فأخذهم يوقنا وسار بهم إلى
خيمته وصعب على يوقنا إخراجهم من انطاكية
لأنه كان عول على أنه يأخذهم إلى انطاكية

فلما حصلوا عنده حلهم يوقنا من وثاقهم وسلم لهم لامة
الحرب وحدثهم بما عزم عليه فيلطانوس من قبضه
على الملك فقال ضرار ابن الأزور لا ضير أن أعداء الله
في الجهاد في طاعة رب العباد قال ولم يدعهم
يوقنا في سرادقه بل فرقهم على بني عمه لكل
رجل من بني عمه رجلان من المسلمين قال
الواقدي حدثني سعيد بن أبي مريم قال أخبرني يحيى
ابن أيوب قال حدثني ابن لعبد الله بن مسعود قال
إن الذي أمر بإخراج أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سجن انطاكية ابن دنبول مملوك
الملك هرقل وكان الملك تلك الليلة قد
رأى في منامه شخصا نزل من السماء وقلبه من على
سريره وكأن تاجه قد طار من على رأسه
وكأن شخصا يقول له قد قرب ما بعد من
زوال ملكك من سورية وقد ذهبت

دولة الشقاق وجاء الله بمذهب الوفاق وكأن شخصا
قد نفخ في عسكره نارا فأشعله فانتبه هرقل
مرعوبا وفسر ذلك على خواص قومه فأخبروه
بزوال ملكه وكان قد عبا خزاينه وذخايره
وجميع ما يعتمد عليه وألقى الكل في المراكب
قبل نزول الشمس وأكثر من الزاد والعدة
وآلة الحرب فلما رأى تلك الليلة ما رأى
في منامه بعث بابنته وجميع حرمه إلى
المراكب ثم دعا بمملوكه في السر وكان
أشبه الخلق به فألبسه زيه وتوجه بتاجه
وقال كن غدا في موقفي فإني أريد أن أكيد
العرب وأكمن خلفهم ثم سار الملك
جهة البحر فعند ذلك أمر الملك بإخراج
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتقاهم
يوقنا وكان من أمرهم ما ذكرنا ۵

قال الواقدي حدثني سليمان بن عبد الواحد عن
صفوان بن بشير عن عروة بن مذعور قال حدثني
محمد بن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن
أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد قال ما خرج
هرقل من انطاكية إلا وهو مسلم وسبب
ذلك أنه كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه في السر من قومه إن بي صداعا لا يسكن
فنفذ لي بالدواء فنفذ إليه عمر رضي الله عنه
قلنسوة فكان إذا وضعها على رأسه يسكن
ما به من الصداع وإذا وضعها عن رأسه عاد
الصداع إليه فتعجب هرقل من ذلك وأمر
بتفتيشها فإذا فيها رقعة مكتوب فيها
بسم الله الرحمن الرحيم فقال هرقل ما أكرم
هذا الدين وأعزه حيث شفاني الله بآية
واحدة منه قال الواقدي رحمه الله ولما كان

مِنَ الْعَدُوِّ رَكِبَ جَيْشُ الْمَلِكِ هِرَقْلَ وَرَكِبَ جَيْشُ
الْمُسْلِمِينَ وَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَمَعَهُ عَسْكَرُ
الزَّحْفِ وَرَكِبَ فِيلَطَانُوسُ وَيُوقَنَّا وَبَنُوا
عَمِّهِ الْمِأَيَتَانِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ تَحْتَ السِّلَاحِ فَكَانَ
أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِجَيْشِ الزَّحْفِ
وَتَبِعَهُ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ
وَحَمَلَ مِنْ بَعْدِهِ قَيْسُ بْنُ هُبَيْرَةَ وَحَمَلَ مِنْ
بَعْدِهِ مَيْسَرَةُ بْنُ مَسْرُوقٍ الْعَبْسِيُّ بِأَصْحَابِهِ
مِنْ بَنِي عَبْسٍ وَحَمَلَ مِنْ بَعْدِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
ابْنُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَمَلَ
مِنْ بَعْدِهِ ذُو الْكَلَاعِ الْحِمْيَرِيُّ وَحَمَلَ
الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَمَلَ مَالِكُ الْأَشْتَرُ النَّخَعِيُّ
وَعَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ الزُّبَيْدِيُّ وَحَمَلَ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَحَمَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِبَقِيَّةِ الْعَسْكَرِ وَأَطْبَقَ النَّاسُ
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَلَمَّا اشْتَعَلَتْ نَارُ الْحَرْبِ حَمَلَ
يُوقَنَّا بِبَنِي عَمِّهِ وَالْمِأَتَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَمَلَ ضِرَارُ بْنُ
الْأَزْوَرِ بِأَصْحَابِهِ فَلِلَّهِ دَرُّهُ لَقَدْ أَعْطَا السَّيْفَ حَقَّهُ
وَلَقَدْ أَخَذَ بِثَارِهِ مِنَ الرُّومِ وَكُلَّمَا قَتَلَ فَارِسًا
صَاحَ وَأَنَا رَأَيْتُ ضِرَارٍ وَكَانَ قَصْدُهُ عَسْكَرَ
الْمُتَنَصِّرَةِ وَأَصْحَابُهُ لَا يُفَارِقُوهُ وَرِفَاعَةُ بْنُ
زُهَيْرٍ يُشَجِّعُهُمْ وَيَعِظُهُمْ وَيَقُولُ احْمِلُوا وَإِيَّاكُمْ
أَنْ تَفْشَلُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ
السُّيُوفِ وَالْجِنَانُ قَدْ زُخْرِفَتْ قُصُورُهَا
وَأَشْرَفَتْ حُورُهَا وَمَرِحَتْ وِلْدَانُهَا ثُمَّ صَاحَ
يَا فِتْيَانَ الْعَرَبِ أَيُّكُمْ يَرْغَبُ فِي جِوَارِ
الْجَنَّةِ وَمَنْ يُرِيدُ عَرُوسًا فِي الْجَنَّةِ وَيُحِبُّ

أن تقوم على رأسه الولدان يرعب فيما قال الديان
متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان
فبينما ضرار في الأعداء وهو يذيقهم سم
شراب كأس الردى وإذا بفارس يطحطح الكتائب
وهو يزعق وأنا وارث ضرار فتأمل ضرار الفارس
وإذا هي أخته خولة بنت الأزور فقال لها
لله درك يا بنت الأزور فأقبلت تسلم عليه
فسلم عليها وقال لها إليك عني الساعة فإن
قتال الكفار أفضل من كلامك يا بنت
أمي اجعلي عنانك مع عناني وسنانك مع سناني
فإن مات أحدنا التقى به الآخر في المحشر
عند سيد البشر قال الواقدي
فبينما هو يخاطبها وإذا بجيوش الروم قد
تقهقروا إلى ورائهم وكتائبهم قد انهزمت
قال الواقدي وكان الأصل في ذلك

فيلطانوس صاحب أرومة الكبرا رحمة الله عليه
وكان قد قبض على الملك فلما قبض على الملك
ولت الروم الأدبار وركنوا إلى الفرار وقتل
من الروم مقتلة عظيمة لم يقتل مثلها إلا بأجناد ين
واليرموك وقتل من العرب المتنصرة زهاء
من اثني عشر ألفا وطلب المسلمون جبلة بن
الأيهم وولده الهايم فلم يروا لهم خبرا
قال الواقدي فلما انهزمت الروم
انهزم جبلة وولده وأتوا إلى البحر وركبوا
في مراكب هرقل وجملة من هرب من
المتنصرة مع جبلة بن الأيهم خمسمائة رجل
من ساداتهم من جملتهم عرفضة بن عصمة
وعروة بن دابق ومرهب بن وافد ومحام
بن سالم ومثل هؤلاء عليهم لعنة الله ومن نسلهم
الأفرنج وأخذ المسلمون السرادقات والخيام

والنار واسروا ثلاثين الفا وقيل سبعون الفا
وولى من بقى من الروم منهم من اخذ نحو دروب
انطاكية ومنهم من طلب قيسارية الى
قسطنطين ابن الملك هرقل فلما وضعت الحرب
اوزارها وجمعت الاموال والغنايم والاسارى
بين يدى ابى عبيدة رضى الله عنه فلما نظروا
الى ذلك سجدوا شكرا لله عز وجل وجا ضرار
واصحابه ويوقنا وبنوا عمه فسلم المسلمون
عليهم وفرحوا بخلاصهم من ايدى اعدايهم
وشكروا اليوقنا رحمة الله عليه وبشروه
برضوان الله عليه وجا فيلطانوس صاحب
ارومة فسلم المسلمون عليه وبشروه بالجنة
وقال له ابو عبيدة الاخرة خير لك من الاولى
فلما نظر فيلطانوس الى تواضع المسلمين
وحسن سيرتهم فقال والله هولاء القوم الذى

بشر

بشر بهم المسيح ثم اسلم وحسن اسلامه واسلم
قومه وحسن اسلامهم رضى الله عنهم ثم نظر
ابو عبيدة الى تحسن انطاكية وما فيها من الامم
فقال اللهم اجعل لنا عليهم سبيلا وافتحها
لنا فتحا مبينا قال الواقدى وكان على انطاكية
من قبل الملك هرقل واليا اسمه صليب
ابن قيطس وكان جاهلا في قومه نعزم
على القتال من باطن السور فاجتمعت كبار
انطاكية الى البترك في الليل وقالوا له
اخرج الى هولاء العرب واصلح بيننا فخرج
البترك الى ابى عبيدة وتحدث معه في
الصلح فاجابه ابو عبيدة الى ذلك وصالحه
على ثلاثة الاف دينار فلما تقرر الصلح
قال ابو عبيدة احلفوا لنا ان لا تغدروا بنا
فان مدينتكم مانعة كثيرة الوعر

والجبال قال أبو عبيدة من يحلفه قال يوقنا أنا أحلفه
ثم إن يوقنا وضع يده في يد البترك ثم قال له
قل والله والله أربعين يمينا وإلا قطعت زناري
وكسرت صليبي ولعنتني الشمامسة والديانيون
وخلعت من دين النصرانية وذبحت الجمل في
ماء المعمودية ونجستها ببول المولود وقتلت
كل الشهود وإلا خرقت شداد مريم وعصبت
بها رأسي وإلا ذبحت القسوس وصبغت بدمهم
ثوب عروس وإلا جعلت في المذبح زعفران
وكذبت ما في الإنجيل من البيان وإلا جعلت
المسيح ميتا لا يقوم وإلا جعلت مريم زانية به
وإلا تركت على المذبح حيضة يهودية ۝ وإلا
طفيت قناديل كنيسة جرجس وإلا تزوجت
بيهودية ضميه وإلا غسلت أثوابي صبحة يوم
الجمعة وإلا هدمت الكنايس والبيع وأخفيت

الأعياد

الأعياد والجمع وإلا عبدت اللاهوت وجحدت الناسوت
وإلا أكلت لحم الجمل في عيد الشعانين وإلا
صمت رمضان عاطشا وأكلت لحم الجمل ناهشا
وإلا صليت في ثياب اليهود وقلت إن المسيح
دابغ الجلود لا غدرناكم ولا بمن معكم ۝
قال الواقدي وكان دخول أبي عبيدة انطاكية
خمسة أيام خلت من شعبان سنة سبع وعشرين
من الهجرة فدخلها وبين يديه اللواء الذي عقده
له أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعن ميمنته
خالد بن الوليد وعن يساره ميسرة بن مسروق
العبسي والقاري يقرأ بين يديه سورة الفتح
ولم يزل يسير إلى أن وصل إلى باب الجنات
فنزل هنالك وبنى في موضعه مسجدا وبه يعرف
إلى وقتنا هذا قال ميسرة بن مسروق بن عمر
الخزاعي فنظرنا إلى بلد طيبة كثيرة الماء

والخيرات فما أحد من المسلمين إلا استطابها وود دنا
لو أقمنا بها ولو ثلاثة أيام ثم إن أبا عبيدة كتب
كتابا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من أبي عبيدة عامر بن
الجراح إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سلام
عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي
على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وله الحمد
على ما رزقنا من النعمة والنصر وأعلمك
يا أمير المؤمنين أن الله عز وجل فتح على المسلمين
كرسي النصرانية مدينة إنطاكية
العظما وكسرنا عساكرهم وقتلنا واليها
ونصرنا الله عليهم وهرب هرقل في البحر
وإنني لم أقم فيها بالمسلمين لطيبتها وإني خفت
على المسلمين أن يوافقهم طيب هواها وأن
يغلب حب الدنيا على هواهم فيقطعهم ذلك

عن طاعة ربهم وإنني عازم على المسير إلى حلب وأنا
منتظر أمرك فإن أمرتني أن أسير إلى داخل الدروب
فعلت وإن أمرتني بالمقام أقمت واعلم يا أمير
المؤمنين أن العرب نظرت إلى نساء الروم
فدعتهم أنفسهم إلى التزويج فمنعتهم من ذلك
وإنني أخشى عليهم الفتنة إلا من عصمه الله
تعالى وشرح صدره فعجل بالجواب
والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة
الله وبركاته ثم طوى الكتاب وختمه
وقال معاشر المسلمين من يسرع بهذا الكتاب
إلى أمير المؤمنين فأسرع بالجواب زيد بن وهب
مولى لعمرو بن سعيد الأنصاري مولى بني
عمرو بن عوف وقال أيها الأمير أمضي به
إن شاء الله تعالى فقال له أبو عبيدة يا زيد
إنك لست تملك أمرك وإنما أنت مملوك

وإن أردت المسير فمولاك عمير يأذن لك بذلك فأسرع
زيد إلى مولاه عمير وانكب على رأسه يقبله فمنعه
من ذلك وكان عمير رجلا زاهدا ما يملك من الدنيا
إلا سيفا ورمحا وفرسا وبعيرا ومزادة ومصحفا
وقصعة وكان الذي ينوبه من المغنم لا يدخر
منه شيئا ولا يأخذ منه إلا ما يتقوتون وكان
يفرقه على أهله وقرابته ويبعث بالباقي إلى
عمر بن الخطاب فقال عمير رضي الله عنه لعبده
زيد أتريد أن تكون بشيرا للمسلمين وأمنعك
من ذلك امض فأنت حر لوجه الله ففرح زيد
ابن وهب بذلك وأخذ الكتاب من أبي عبيدة
بعد أن حدثه بحديثه مع سيده ثم استوى
زيد على ظهر ناقته وجعل يسير ويطلب أقرب
طريق قال زيد بن وهب قدمت مدينة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذي القعدة

خمسة وعشرون يوما فلما قدمت المدينة وجدتها
منقلبة ولأهلها ضجة عظيمة وهم يهرعون إلى باب
البقيع فتبعتهم لأنظر شأنهم وأنا أظن أنهم
يطلبون حربا أو وقتا لا فسلمت على رجل من
المسلمين فرد علي السلام ونظر إلي فعرفني
وقال يا زيد بن وهب قلت نعم قال الله أكبر
ما وراءك يا زيد من أخبار المسلمين قلت البشارة
والفتح والغنيمة فأين أمير المؤمنين عمر قال
الرجل إن أمير المؤمنين يريد الحج إلى بيت الله
الحرام بأزواج النبي عليه السلام والناس له
مشيعون قال زيد بن وهب فنزلت عن النجيب
وعقلته بفاضل زمامه وأسرعت مهرولا حتى
وقفت بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وهو يمشي راجلا ومن ورائه مولاه أرقا
يسوق بعيره وقد رحله بعباءة قطوانية وزاده

وجفنته عليه والهوادج بين يديه سايرة وعن
يمينه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن شماله
العباس بن عبد المطلب ومن ورايه جماعة من
المهاجرين والأنصار وهو يوصيهم على المدينة
قال زيد فلما وقفت بين يديه ناديت السلام
عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته
فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته
من اين أقبلت ومن أنت قلت يا أمير المؤمنين
أنا زيد بن وهب مولى عمير بن سعيد أتيت
إليك بشيرا قال عمر بشرك الله بخير فما
بشارتك قلت هذا كتاب عاملك عامر بن
الجراح يخبرك أن الله عز وجل قد فتح انطاكية
قال زيد بن وهب فلما سمع عمر
بذلك خر ساجدا شكرا لله تعالى ومرغ خديه
على التراب ثم رفع رأسه من السجود وقد

وقد تترب وجهه ولحيته رضي الله عنه وقال
اللهم لك الحمد والشكر على نعمك المتتابعة
ثم قال عمر هلم الكتاب رحمك الله قال
زيد فسلمت الكتاب فلما قرأ ما فيه بكا فقال
له علي بن أبي طالب يا أمير المؤمنين ما بكاؤك
قال لما صنع أبو عبيدة وإن النفس لأمارة بالسوء
ثم دفع الكتاب إلى علي بن أبي طالب
فقرأ ما فيه قال زيد ثم رأيت عمر بعد أن
هدا من بكايه رأيت الفرح من وجهه
ثم أقبل علي وقال يا زيد أرغدت وأمعنت
في أكل تينها وأعنابها فاحمد الله كثيرا
فقلت يا أمير المؤمنين ما هذا ازمانه عند
ذلك عمر بن الخطاب جلس على التراب
وادعا بدواة وقرطاس وكتب إلى أبي
عبيدة جواب الكتاب يقول فيه

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن
الخطاب إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام
عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي
على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأشكره
مليًا على ما وهب من النصر للمسلمين والعاقبة
للمتقين ولم يزل معينًا لطيفًا وأما قولك أنك
لم تقم بإنطاكية لطيب هواها فإن الله عز
وجل لم يحرم الطيبات على المتقين الذين
يعملون الصالحات قال تعالى في كتابه العزيز
يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما أحل الله
لكم وكان يجب عليك أن تريح المسلمين
من تعبهم وتدعهم يرغدون في مطعمهم
ويريحون الأبدان التعبة في قتال من كفر
بالله وأما قولك أنك تنتظر أمري الذي
أمرك به أنك تدخل الدروب خلف العدو

فأنت

فأنت الشاهد وأنا الغايب والشاهد يرى ما لا يرى
الغايب وأنت بحضرة عدوك وعيونك يأتونك
بالأخبار فإن رأيت أن الدخول إلى الدروب
صوابًا فابعث إليهم السرايا وادخل معهم بلادهم
وضيق عليهم مسالكهم وإن طلبوا منك الصلح
فصالحهم وأما قولك إن العرب أبصرت
نساء الروم فأرادوا التزويج فمن أراد التزويج
فدعه إن لم يكن له في الحجاز أهل ومن
أراد أن يشتري الإماء فدعه فذلك أصون لفروجهم
والسلام عليك وعلى جميع من معك من المسلمين
ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب
وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودفعه إلى زيد بن وهب وقال له انطلق
رحمك الله وأشرك عمر في ثوابك فأخذ
الكتاب من يد عمر رضي الله عنه وهم أن

يسير فقال عمر يا زيد قف حتى ننزل وذلك ثم ان
عمر أناخ بعيره وأخرج له من ثمره صاعا ومن
سويقه صاعا ثم قال خذ هذا واعذر عمر فهذا
ما أمكنه ثم ان عمر قبل رأس زيد بن وهب
فبكا زيد وقال يا أمير المؤمنين بلغ من
قدري أن تقبل رأسي وأنت أمير المؤمنين
وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ختم الله بك الأربعين فبكا عمر وقال
أرجو أن يغفر الله لعمر بشهادتك يا زيد
قال زيد بن وهب فاستويت على
ظهر ناقتي وهممت أن أسير فسمعت عمر
يقول اللهم احمله عليها واطو له البعيد
وسهل له القريب إنك على كل شيء قدير
قال زيد ففرحت بدعوة عمر بن الخطاب
لأن الله عز وجل لا يرد له دعوة إذا كان

له طايعا ولنبيه طايعا قال زيد فجعلت أسير
والأرض تخفى وتطوى تحت مطيتي فكنت في
اليوم الثالث عند أبي عبيدة وكان قد رحل
من انطاكية ونزل على حازم قال زيد بن وهب
فلما أتيت عسكر المسلمين سألت عن أبي عبيدة
فقالوا لي إنه في خيمته وسمعت ضجة عظيمة
فسألت عن ذلك فقالوا إن المسلمين فرحين
بما فتح الله على المسلمين وذلك أن خالد بن الوليد
سار إلى شاطئ الفراة وغار على بزاغة ومنبج
بخيله ورجله فأخذ أموالها وغنايمها وقد
صالحوا الأمير أبا عبيدة ورد أموالهم وغنايمهم
عليهم وقد فتح الله منبجا وبزاغة وبالس وجسر
منبج في العشر الأوسط من المحرم سنة عشر
من الهجرة وصالح أهلها بعد أن رد عليهم
أموالهم على مائة ألف وخمسين ألفا وما كان

متولي على تلك الابطريق اسمه جرفياس فلما
صالح على ارضه اعطاه امواله فعند ذلك ولى
ابو عبيدة على منبج عبادة بن رافع التميمي وعلى
الجسر نجم بن مفرج الفهري وبنا قلعة
وسماها باسمه قلعة نجم وولى على بزاعة
اوس بن جابر الربعي وعلى بالس بادر بن عون
الحميري وبنا قلعة وسماها باسمه وادعا
ابو عبيدة خالد بن الوليد يوم قدوم زيد
ابن وهب فقدم له الاموال والغنايم قال
زيد بن وهب فاتيت قبة ابي عبيدة فرايته
جالسا والى جانبه خالد بن الوليد وقد قدم
مال الصلح فاخذت ناحيتي وناولته الكتاب
ففضه وقراه على المسلمين

ذكر دخول المسلمين دروب انطاكية

وما جرى فيهم لاصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم من الحرب والقتال قال رحمة الله عليه فلما
قرا ابو عبيدة كتاب امير المومنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال معاشر المسلمين ان
امير المومنين قد ترك امر هذا الدروب
وقال انت الشاهد وانا الغايب وانا لا اعمل
شيا الا عن اذنكم ورايكم فما تشيرون
به علي رحمكم الله فسكت المسلمون ولم
يجيبوا جوابا فاعاد ابو عبيدة الكلام ثانيا
وقال يا معاشر المسلمين ان الشام قد ملككم
الله اياه واخرج عدوكم منه بالمذلة والقهر
واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم
كما ضمن لنا نبي الله ورسوله صلى الله عليه
وسلم الجنة فما تشيرون به ان تدخلوا اهل
الدروب الى عدوكم فسكت المسلمون
ولم يجيبوا جوابا فاعاد ابو عبيدة الكلام

ثالثة وقال يا معاشر المسلمين ما هذا السكوت أفشل
لحقكم بعد الشجاعة أم كسل بعد النشاطة
أم قد اكتفيتم من الحسنات أم لم تبق عليكم
سيئات وإن الحسنات لكثيرة لكم وليس
خطيئة في الرغبة إلى الله عز وجل وإن الجهاد
خير لكم من الدنيا وما فيها فكان أول
من تكلم من أمراء المسلمين ميسرة بن مسروق
العبسي رضي الله عنه وقال أيها الأمير لم نسكت
الجزع لحقنا ولا فزع ولا خوف أرهقنا
وإنما بعضنا ينظر إلى بعض واعلم أيها الأمير
ما لنا حيلة غير الجهاد في أعداء الله وطلب
ما عند الله وها نحن بين يديك فما أمرتنا به
فمنك الأمر ومنا السمع والطاعة لله ولرسوله
وأما أنا فما أملك إلا نفسي فوجهني حيث شئت
تجدني طائعا مسارعا رحمة الله عليه ثم قال

ابو عبيدة

أبو عبيدة معاشر المسلمين من له رأي وحضرت عنده
مشورة فليقلها وليظهر ما عنده فقال خالد بن الوليد
لأبي عبيدة يا أمين الأمة إن إقامتنا على طلب
عدونا وهن وعجز علينا وطعن في ديننا وطلب
العدو وهن عليهم وغنيمة للمسلمين والذي
أشير عليك أيها الأمير أن تبعث الجيوش إلى
الدروب فذلك وهن للعدو وتقر به أعين
المسلمين فجزاه أبو عبيدة خيرا وقال
يا أبا سليمان إني عولت أن أعقد لميسرة بن
مسروق عقدا وأسير معه رجالا من اليمن
لأنه أول من سارع إلى ذلك فيقتحم الدروب
ويغير على ما قرب من بلاد الروم ويرجع إلينا
إن شاء الله ويخبرنا بخبر البلاد فقال له خالد بن
الوليد أصبت الرأي فأخذ أبو عبيدة قناة تامة
وعقد عليها راية سوداء مكتوب عليها ببياض

لا إله إلا الله محمد رسول الله وهز الراية في كفه
وسلمها إلى ميسرة بن مسروق وقال يا ميسرة أنت
كنت أول مشير على المسلمين بالمسير إلى الدروب
فخذ هذه الراية وتكون أنت المتولي هذا
الأمر وافتح فتحا يكون لك ذخرا في الدنيا والآخرة
وانتخب أبو عبيدة من أبطال اليمن ومن أبطال
حمير ثلاثة آلاف فارس ومن العبيد ألف عبد
ومن كندة وكهلان ونبهان وسنبس والأزد
ومذحج وذبيان وأحمس وخولان وعك
وهمدان ولخم وجذام وفيهم الرؤساء
والنجباء وقد لبسوا أكمل سلاحهم والعبيد
لبسوا الصبايغ الحمر وعلى رؤوسهم العمايم الصفر
وكل عبد منهم يقول إنه يحمل في كتيبة
وجعل أبو عبيدة دامسا أبا الهول مقدما على
العبيد وجعله تحت راية ميسرة بن مسروق

العبسي

١١٩

العبسي وقال له يا أبا الهول كن في أول هذه العبيد
فهم تحت رايتك وأنت تحت راية ميسرة بن
مسروق ولا تخالفه فيما يشير به عليك قال
دامس السمع والطاعة واعتزل أبو الهول ومن
معه من العبيد وأجابت الرجال أبا عبيدة إلا
رجال طي فإنهم كرهوا المسير تحت راية
ميسرة فقال بعضهم لبعض كيف عقد أبو عبيدة
لرجل من عبس وترك سادات طي وملوكها
وملوك اليمن قال الواقدي فبلغ الخبر
إلى أبي عبيدة فدعا بهم وقال يا آل طي
إنكم مستكبرون وقتالكم إنما هو عن
المسلمين فلا يداخلكم الكبر فتهلكوا
واعلموا أنه لا نصر بكثرة عدد ولا بشدة
وجلد وإنما تغلبوا بنصر الله قال الله عز وجل
إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن

أكرمكم عند الله أتقاكم والله إن ميسرة
لأقدم منا سبقا إلى الإسلام وصحبة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فسكتت طي عند ذلك
وأسرعوا حتى وقفوا تحت راية ميسرة فلما
تكاملوا للمسير أقبل ميسرة إلى أبي عبيدة
وقال أيها الأمير إني جاهل بهذه الطريق
والأرض قاتلة لمن جهلها وإن أمير المؤمنين
أمرك أن تبعث معنا الأدلاء يرشدونا
على الطريق قال أبو عبيدة لقد ذكرتني
ما كنت ناسيا ثم أعرض أبو عبيدة الأدلاء
من المعاهدين ممن كان تحت الذمة
فاختار أبو عبيدة منهم أربعة وضمن لهم
جعلا وطرح عنهم الجزية واستشارهم
في أي درب يكون دخول المسلمين فيه
فأشاروا كلهم بالدرب الأعظم من بلد

قورص

قورص وقالوا أيها الأمير إن هذه الدروب ليست
كالبلاد التي فتحوها وهذه بلاد كثيرة البرد
شديدة الهجير كثيرة الحجر وفيها مضايق
وشعاب وكهوف وأودية فقال لهم ميسرة
سر أمامنا فإنك سترى عجبا منا فسار ميسرة
أمام قومه بعد أن سلم على أبي عبيدة وعلى
المسلمين وهم يضجون بالتهليل والتكبير
قال عطا بن جعدة الغساني وسرنا نجد السير
والدليل أمامنا فأقبلنا على قورص ونزلنا
بها فلما بتنا وأصبحنا سرنا ودخلنا الدروب
ولم يزل الدليل يسير بنا في طريق وحشة
وعرة وأشجار مشتبكة ومياه جارية ومضايق
ليس فيها مجال فقلت في نفسي إذ طال علينا
مدى هذه الأودية خشيت على المسلمين
أن يظفر بهم عدوهم وتعلقوا بهم

الأدلا في جبال شاهقة صعب على الخيل الصعود إليها
ولم يبق أحد من المسلمين إلا ترجل عن فرسه
وقاده ورآه قال عبد الرحمن بن ميسرة بن
عبيد كنت مع ميسرة بن مسروق وقد اخترق
بنا الدروب فنظرت إلى جبال شاهقة وشجر
متكاثفة قال عبد الرحمن وكان لي خفان
من أديم اليمن فلما نزلت من على الجواد
لبستهما فما كان إلا قليل حتى تقطعا وبقيت
رجلاي يسيل منها الدم وما زلت كذلك
ثلاثة أيام وما من يوم يسير إلا والدليل
يقول كونوا على حذر فإن أخذت الروم عليكم
المجاز والطريق هلكتم فلما كان في
اليوم الرابع خرجنا إلى زهوة واسعة قال
عبد الرحمن وكان دخولنا إلى الدروب
في أول الصيف وما أحد من المسلمين إلا

وقد نزع فروته عن جسده فلما خرجنا إلى تلك الأرض
رجع كل أحد منا يلبس ما كان عليه في الشتا
من شدة البرد الذي في ذلك الموضع قال
عبد الرحمن وكان داميس ليس عليه آلة الحرب
ولا معه إلا بردتان فلما دخل أرض الزهوة
سقعه البرد ولم يكن معه ما يكفيه للبرد
ثم جعل يرتعد فنظر إليه رجل من المسلمين
فقال يا أبا الهول ما لك تفقفق فقال أخذني البرد
فأخبر ميسرة بذلك فدفع له ميسرة فروة
من على جسده فلما لبسها أبو الهول ودفي قال
كساك الله يا ميسرة من قطف الجنة قال
الواقدي وسار بهم الدليل ولم تزل الناس
يسيرون في بلاد الروم إلى أن وصلوا إلى أرض
طيبة كثيرة الماء قليلة الحجر فأمر ميسرة
المسلمين بالنزول فيها وذلك أن المسلمين

لم يروا أحدا من الروم في طريقهم حتى تكامل
الجيش فلما تكامل الجيش رحل بهم ميسرة وسار
يقدم الجيش قال سعيد بن عامر فوالله ما رأينا
أحدا من الروم فلما كان في اليوم الخامس
ونحن سائرون إذ لاح للمسلمين سواد في لحف
جبل فأسرعت خيل المسلمين إلى نحو الجبل
فلما قربوا منه فإذا هي قرية من قرى الروم
خالية من أهلها إلا أنهم سمعوا أصوات
الديوك ولغا الغنم وليس فيها دافع ولا مانع
قال سعيد بن عامر فلما نظرنا إلى
ذلك علمنا أنهم هربوا فصاح بنا ميسرة
وقال خذوا على أنفسكم فإن الروم قد
علموا بنا فابتدر المسلمون إلى القرية وأخذوا
ما كان فيها من الطعام والثياب والأموال
والمواشي قال سعيد بن عامر فنظرت إلى أبي

الهول

الهول
وهو يحمل على عاتقه ثلاثة أكسية وقطيفة فقلت
يا أبا الهول إن هذا الذي معك يثقلك فقال خل عني
فإن برد هذه البلاد قتلني ثم سار بنا ميسرة بن
مسروق والدليل أمامنا **ذكر وقعة مرج القبائل**
وأسر دامس أبي الهول وجماعة معه وخلاصه على
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسر عبد الله بن
حذافة وخلاصه برسالة عمر بن الخطاب من ابن
الملك هرقل بالقسطنطينية العظمى **قال**
الواقدي ولما وصلت خيل المسلمين إلى مرج القبائل
وكان مرجا هائلا كثير الطول تسير فيه المسلمون
ليلا ونهارا فنزل ميسرة بجيشه هناك وهو يأمر
نفسه بالرجوع إلى أبي عبيدة وكان أبو عبيدة
أمره أن لا يبطئ عنه فبينما هو كذلك والخيل سائبة
في المرج وإذا قد أهل رجل من المسلمين ومعه
علج يسوقه كأنه دابة ولم يزل به حتى أوقفه

بين يدي ميسرة بن مسروق فقال له من أين لك هذا
العلج قال أيها الأمير إني أسرعت فرأيت هذا العلج
فأسرته فدعا ميسرة برجل من المعاهدين ممن يعرف
بكلام الروم وقال له اسأل هذا العلج أيش عنده
من أخبار الروم فسأله المعاهدي وقال أيها الأمير
إن هذا العلج يقول إن الملك هرقل لما ركب البحر
قصد القسطنطينية بأهله وحرمه وكل المنهزمين
قد التجأوا إليه واجتمعوا عنده وبلغه أن أنطاكية
قد فتحت وقتل واليها صليبا فقال الملك السلام
عليك يا أرض سورية ثم بكا بكاء شديدا ثم
جمع إليه بطارقته وقال إني خائف من العرب
أن يلحقوا بنا فجهز ثلاثين ألفا من بطارقته يحفظون
الدروب له فقال كم بيننا وبينهم قال العلج
بينكم وبينهم فرسخان فلما سمع ميسرة بن
مسروق ذلك أطرق إلى الأرض لا يجيب جوابا

فقال له رجل من أهل بيتهم يقال له عبد الله بن حذافة
السهمي رضي الله عنه وكان من أبطال المسلمين
وشجعانهم وكان له عمود من حديد يقاتل به في
الحرب لا يقله سواه فقال لميسرة بن مسروق
ما لي أراك مطرقا في الأرض كإطراق الحصان
لصلصلة اللجام والرجل منا يقاتل ألفا من الروم
قال والله يا عبد الله ما أطرقت خوفا ولا جزعا
إلا أنني خفت أن تصادف المسلمين تحت رايتي وهي
أول راية دخلت الدروب فيلومني عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وكل راع مسؤول عن رعيته
فقال المسلمون والله ما نبالي بالموت ولا نفكر
بالفوت فقال ميسرة يا معاشر المسلمين أشيروا
علي هل نسير إلى الروم أو نلقاهم في موضعنا
هذا فقال لهم العلج إن أردتم أن تلقوا العسكر
فاثبتوا في أماكنكم وإن رجعتم فهو خير

لكم فعند ذلك أعرض ميسرة الإسلام على العلج
فأبا فضرب عنقه فبينما هم كذلك إذ أشرف
عليهم جيش المشركين وصلبان الروم وراياتهم
وهم كالجراد المنتشر وكان الليل قد أقبل
فلما كان من الغد صلى ميسرة بالمسلمين صلاة
الفجر وانفتل من صلاته وقام فيهم خطيبا وقال
أيها الناس هذا يوم ما بعده يوم وقد علمتم بعده
من قربه ورأيتكم أول راية دخلت الدروب
واعلموا أن إخوانكم المسلمين منتظرون لفعلكم
واعلموا رحمكم الله أن الدنيا دار ممر والآخرة
دار مقر واسمعوا ما قال نبينا صلى الله عليه
وسلم الجنة تحت ظلال السيوف ولا تنظرون
إلى قلتكم وكثرة أعدائكم ثم قرأ
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله
والله مع الصابرين فقال المسلمون أيها الأمير

اركب بنا إلى لقائهم وإننا نرجو النصر عليهم
فاستبشر لقولهم وركب ميسرة وركب الجيش
لركوبه وانفصلت العبيد من العرب ووقف
تحت راية أبي الهول وانحازت العرب تحت راية
ميسرة بن مسروق العبسي رحمة الله عليه وقد
أخذوا على أنفسهم لقتال عدوهم واستعانوا
بالله فقال ميسرة قبل أن يحمل أيها الناس إني
أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وكونوا
كقوم أشرف عليهم الموت فلم تجدوا منه
مخلصا ولاحت لهم الجنة بحذافيرها وانظروا
ما أعد الله لكم فيها فأحبوا السرعة للدخول
إليها وهذه الجنة أمامكم وأنتم اليوم جيش
الإسلام ثم عباهم ميمنة وميسرة وقلبا
وجناحين فجعل في الميمنة عبد الله بن حذافة
السهمي وعلى الميسرة سعيد بن أبي سعيد وقام

العبيد وهم بالصبايغ الحمر وهم بالحراب والسيوف
وأوقفهم أمام القلب والراية بيد أبي الهول
قال الواقدي وبرز دامس أبي الهول بين
الصفوف فخرج إليه فارس من الروم فقتله فقال
الروم إن هذا عبد من عبيد العرب فعل هذا فلم
يخرج إليه أحد فعند ذلك ونخ الروم بعضهم
بعضا إذ حمل عليه عشرة آلاف من الروم ودهموه
بالخيل فلما نظر المسلمون إلى المشركين وقد
حملوا عليه فصاح ميسرة الحملة الحملة يا معاشر
المسلمين فحمل المسلمون والتقا الجمعان فلله در
العبيد لقد أبلوا بلاء حسنا واستنقذوا أبا الهول
من الهلكة وهو يهدر كأنه الأسد قال
الواقدي ولم يزل الحرب يعمل بينهم إلى أن
ولت الشمس للغروب واشتد الكرب
والمسلمون موقنون بالنصر وبات المسلمون تلك

الليلة فلما كان من غداة غد وقد طلع الفجر صلى
ميسرة بالمسلمين صلاة الفجر وانفتل من صلاته
فنظر إلى جيش الروم وقد صفوا صفوفهم وهم
عليهم الحديد القسطنطيني وهم في عدة حسنة
فعند ذلك خرج من عسكر الروم فارس وهو
من العرب المتنصرة فقرب من عسكر المسلمين
وقال إن الباغي يرد به بغيه أما يكفيكم
ما ملكتموه من الشام العظيم حتى اقتحمتم الدروب
إنما ساقتكم آجالكم وهذه ثلاثون ألف
عنان قد حلفوا بالصليب أنهم لا ينهزمون
أبدا أو يقعوا موتى فإن أردتم أن يبقى عليكم
فاستسلموا للأمر فيحملكم إلى الملك هرقل
فيحكم فيكم بما يريد فخرج إليه دامس
أبو الهول والراية بيده فهزها وقال
صدقت إنما الباغي يرد به بغيه وأما قولك

أن نلقي بأيدينا إليكم حتى تبقوا علينا فكلامك
هذا هو البغي وإنني عبد من عبيد العرب ليس لي
قدر عند ذوي الرتب أدن مني حتى أجندلك
صريعا تخور في دمك ثم إن دامسا طعن المتنصر
طعنة جندله صريعا وعجل الله بروحه إلى النار
فلما نظرت الروم المتنصر وقد قتل حملوا
حملة على المسلمين والتحم القتال وعمل
الموت الزؤام وتكاثرت الأهوال
وكثرت العيطات وقويت الضجات ولم يزل
القتال يعمل إلى أن ولت الشمس إلى الغروب
فعند ذلك انفصل الفريقين وافتقد المسلمون
بعضهم بعضا ففقد من المسلمين ستون رجلا
خمسون قتلوا وعجل الله بأرواحهم إلى الجنة
وعشرة منهم أسروا فأما العشرة الذين أسروا
منهم راشد بن زهير ومالك بن حازم وسالم بن

مفرج وداوم بن صارم وعون بن مازن ومسعر بن
حسان وخزعل بن عاصم ونبهان بن مرة وعدي
ابن شهاب وأما الخمسين الذين قتلوا من جملتهم
الحارث بن يربوع السهمي وعبد الله بن مساعد
وجبير بن صباح والأغيد بن ناهز والنعمان
ابن يحيى وزيد بن أرقم ومرارة بن حاتم
ورواحة بن سهل رضي الله عنهم قال
الواقدي وأما الروم فأسر المسلمون منهم
تسعمائة رجل وقتل منهم ألف ومائة رجل
وافتقد المسلمون دامسا أبا الهول فلم يروه فعلموا
أنه أسر فحزنوا عليه حزنا شديدا فقال ميسرة بن
مسروق إن كان أبو الهول قتل أو أسر فقد
فجعت فيه المسلمون ثم قال ميسرة معاشر
المسلمين من ينطلق ويستخبر لنا خبر أبي الهول
دامس ومن أسر معه فلم يجبه أحد من المسلمين

إلى ذلك قال الواقدي فلما عادت الروم إلى
الحملة على المسلمين واقتتلوا قتالا شديدا حتى
كان المسلم تجتمع عليه عشرة من الروم والمائة
فيقتلوه أو يأخذوه أسيرا وكان ميسرة في
أربعة آلاف من العرب ومواليهم والروم في ثلثين
ألفا ولقد جاهد المسلمون في الله حق جهاده وميسرة
ينادي ويقول أيها الناس إني أذكركم
دار الآخرة وأعلمكم أنها أقرب إليكم من
رجوعكم إلى أهلكم فاستقبلوا الآخرة استقبال
الوالدة لولدها ولا تولوا كما يولوا العز من
هدير الأسد ثم نادا ميسرة معاشر المسلمين
حطوا جفير سيوفكم واقبضوا على نصالها
بإيمانكم فذلك طريق النجاة قال زيد بن
وهب فلم يبق أحد من المسلمين إلا رما جفير
سيفه فلما نظر الروم إلى فعل المسلمين فعلوا كفعلهم

فسميت تلك الوقعة باسمين وقعة مرج القبايل ووقعة
الحطمة لما حطم من جفون السيوف قال
الواقدي واقتتلوا بالسيوف حتى ظنوا أنها لا تنقطع
والمسلمون متوكلون على الله عز وجل والمشركون
يضجون بكلمة الكفر ويقولون مع ذلك
غلب الصليب والمسلمون منتظرون فرجا يأتيهم
والسودان يقاتلون قتال الموت وكان شعار
المسلمين يومئذ النصر النصر قال عطية بن ثابت
فأخذني على المسلمين الهم ونحن في كرب عظيم
إذ سمعت للروم ضجة عظيمة وإذا بغبرة من وراء
عسكرهم فأطلقت فرسي واقتحمت الغبرة
لأنظر ما هي وإذا بالروم في قتال شديد مع
طايفة من المسلمين والمسلمون في وسط
عسكر الروم والزعقات منهم علت وسمعت
قايلا يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فقلت

هذا صوت دامس فنظرت إليه وهو بارك تحت جحفته
ومن حوله عشرة من المسلمين والروم منكبة عليهم
وأبو الهول يجاهد الروم وحده ويمنع عن أصحابه
وكلما حملت عليه كتيبة من الروم ردهم على
أعقابهم وهو يقاتل قتال الموت قال عطية
فناديته يا دامس ما وراك وأين كنت فلقد
اغتم المسلمون لفقدك فقال يا أخي بينما نحن في
القتال إذ هجمت كبكبة من الروم فأخذوني
أسيرا أنا وأصحابي وليس هذا وقت السؤال
قال عطية بن عامر فأسرعت إلى الأمير ميسرة
وأخبرته بذلك قال عطية فبينما أنا أخاطب
الأمير ميسرة وإذا نحن بأبي الهول وأصحابه قد
أقبلوا وكأنهم قد غمسوا في بحر دم وافترق
الفئتان فوالله ما قتل من المسلمين أكثر من
الخمسين رجلا أو أقل بإثنين وقتل من الروم

ثلاثة الاف سوى ما قتله أبو الهول من الكتيبة
التي هجمت عليه فلما نظر إليه ميسرة هم أن يترجل
عن جواده ليسلم عليه فأقسم عليه أبو الهول
أن لا يفعل فقال له ميسرة يا دامس كيف كان
أمرك قال دامس أيها الأمير اعلم أن الروم كانوا
أسروني أنا وأصحابي هؤلاء وغلوني في القيود
وأيسنا من أنفسنا فلما جن الليل نمت فرأيت
النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه يقول لا بأس
عليك يا أبا الهول واعلم أن منزلتي عند الله عظيمة
ثم جر بيده الكريمة على القيود فانحلت
وعلى الأغلال فزالت وكذلك فعل بأصحابي
وقال أبشروا بنصر الله فأنا محمد رسول الله
ثم غاب عنا فأخذنا سيوفنا ووجدنا بين الروم
وحملنا ونصرنا الله عليهم وهذا حديثنا فضج
المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على

البشير النذير قال الواقدي وكان البطريق متولي
أمرهم من قبل الملك هرقل اسمه حارس وإنه لما نزل
بقومه جمعهم إليه وقال وحق المسيح خذل ملك
أنتم حماته ولئن لم تقاتلوا بشدة عزم لأقتلنكم
ولأخبرن الملك بقصتكم فتحالفت الروم أنهم
لا ينهزمون أو يقتلون عن آخرهم فلما استوثق بهم
أمرهم أن يضرموا النيران على الجبال والمراقب
وجعل يستنفر الروم من البلاد والضيع والروم
تأتي من كل ناحية ومكان كالجراد المنتشر
فما مر ذلك بيومين إلا وجا من الروم والأرمن
ثلاثون ألفا فلما كان من الغد صلى ميسرة
بالمسلمين صلاة الفجر فلما فرغ من صلاته
قام في الناس خطيبا وقال أيها الناس اثبتوا
لما نزل بكم فنعم الصبر عند نزول
المصائب وهذه رحمة من الله عز وجل

بنا إذ نحن في صدور الأعداء وقد دار بنا جيش عظيم
وقد رأيت من الرأي أن أنفذ إلى الأمير أبي
عبيدة لعله ينجدنا قال له سعيد بن زيد نعم ما
قلت فدعا ميسرة برجل من أهل الذمة ووعده
بكل خير وقال له امض إلى الأمير أبي عبيدة
وحدثه بخبرنا وقل له إن الروم قد لحقت بنا
وقد استنفروا علينا الروم من البلاد والضيع
فلبس المعاهدي زي الروم وخرج من المسلمين
على حين غفلة وسار بين يدي عسكر أبي
عبيدة وجهد نفسه في السير إلى أن وصل إلى
جيش المسلمين وكان أبو عبيدة نازل بجيش
المسلمين على حلب فقصد المعاهدي خيمة أبي
عبيدة حتى وقف بين يديه كالبغل الهرم
لما أصابه من التعب فلما رآه أبو عبيدة على
تلك الحالة فدعا له بماء فشرب وأكل فأكل

بعد ذلك قال له ابو عبيدة ما وراك يا اخا الذمة
اهلكت الكتيبة قال لا ولكن والله قد نفر
عليهم العدو من كل قلعة وقد احاطت بهم
الجيوش من كل جانب ثم اخبره بما جرى لهم
من الحرب والقتال وكم قتل من الروم والمسلمين
وباسر دامس وخلاصه وحطم جفون السيوف
فقلق ابو عبيدة قلقا شديدا على ابطال
الموحدين لما سمع من المعاهدي ذلك ثم قام
مسرعا الى خيمته ورجع الى خيمة خالد بن الوليد
رضي الله عنه فوجده يصلح في سلاحه فسلم
عليه فقال ابو عبيدة للمعاهدي قم وحدثه
بما سمعت وعاينت فقام المعاهدي وحدثه
فقال خالد ان الله له الحمد منذ نصرنا ما
اخذ لنا فله الحمد على ذلك كثيرا وقد امرنا
بالصبر على الشدائد قال الله تعالى

يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا
الله لعلكم تفلحون وانني قد جعلت نفسي حبسا
في الجهاد ولا ابخل بنفسي على الله عز وجل ورسوله
ثم اسرع خالد الى خيمته ولبس سلاحه والقا
القلنسوة المباركة على راسه وركب جواده
واعتقل برمحه وندب ابو عبيدة اليه الخيل
ووقع النفير في المسلمين فاقبلوا سراعا يتهادعون
طوعا لله ورسوله رضي الله عنهم فلولا منعهم
ابو عبيدة لساروا باجمعهم فانتخب ابو عبيدة
منهم ثلاثة الاف فارس واردفه بعياض بن
غنم في الف فارس قال الواقدي حدثني
محمد بن هشام قال حدثني عياض بن مالك
عن من حدثه قال لما سار خالد بن الوليد
رضي الله عنه بالجيش مجدا الى ميسرة بن مسروق
قال خالد اللهم اجعل لنا اليهم سبيلا

واطو لنا البعيد ولا تسلط علينا من لا يرحمنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به ثم دخلوا الدروب قال الواقدي
هذا ما كان من أمر خالد ومن معه وأما ما كان
من أمر ميسرة ابن مسروق فإنه دارت به الروم
وصاروا يلتقون كل يوم ويقتتلون قتالا شديدا
ولا يفترقون إلا حتى يهجم عليهم الظلام وكل
يوم يزيد عليهم العدو عددا من غير ما يقتل منهم
قال حدثني معمر بن راشد عن الزبير
ابن العوام قال لما سار خالد بن الوليد ليلحق
ميسرة بن مسروق سجد أبو عبيدة سجدة وأطال
فيها وقال اللهم إني أسألك بمن جعلت اسمه
مع اسمك وعرفت فضله لأوليائك إلا طويت
لهم البعيد وهونت عليهم كل صعب شديد
وألحقهم بأعدائنا يا أرحم الراحمين قال
الواقدي وأما ميسرة بن مسروق ومن معه

فانهم

فإنهم ينتظرون فرجا يأتيهم عن عبد الله بن الوليد
الأنصاري حدثنا ثابت بن عجلان عن سليم بن عامر
الأنصاري قال كنت مع ميسرة بن مسروق
العبسي في وقعة مرج القبايل والروم تأتي إلى
المسلمين من كل جانب ونحن نباكرهم في
القتال ولا ننصرف إلى أن تحجز بيننا وبينهم
الظلام قال سليمان بن عامر فخرج في بعض
الأيام بطريق من بطارقة الروم وقد لبس
درعين وعلى رأسه بيضة كأنما الذهب
من فوقها صليب من الجوهر وبيده عمود من
حديد كأنه زند بعير وقد برز بين الصفين
ودعا إلى البراز وكان ذلك البطريق
أحد البطارقة الذي بعثهم هرقل وجعل
يطمطم بكلامه فقال ميسرة ما يقول
هذا العلج قال إنه يقول لا يخرج إلي إلا

شجعانكم وأبطالكم فقال ميسرة معاشر المسلمين
من يبرز إليه ويكفي المسلمين شره فأسرع بالإجابة
رجل من قبيلة النخع عليه درع من دروع الروم فلما
برز إلى البطريق حسبه البطريق من المتنصرة
وقد أسلم وخرج يريد القتال فجعل العلج يكلمه
ويظن أنه يفهم كلامه فلما رأى أنه لا يفهم
كلامه حمل عليه وضربه ضربة بالعمود
وتراجع لها النخعي وقحم الجواد إلى ورائه فوقعت
الضربة على رأس الجواد فانصرع الجواد وقام
النخعي على قدميه وهم أن يداخل العلج بضربة
فأشفق عليه ميسرة وناداه يا أخا النخع ارجع
إلى ورائك ولا تلقي بيدك إلى التهلكة
فرجع النخعي على عقبيه والعلج تابعه يريد أن
يضربه والنخعي راجل والعلج فارس فلما هم
أن يضربه سارع عبد الله بن حذافة السهمي

وصاح صيحة عظيمة أدهش البطريق بها فالتفت
البطريق إليه وسلم منه النخعي ودخل عسكر
المسلمين وحمل عبد الله على البطريق وصعب
بينهما المجال وكان عبد الله يضرب العلج لا يعمل
فيه السيف مما عليه من الحديد وكان عبد الله
يأخذ ضربة البطريق بحجفته فتوهنه من ثقل
الحديد وقوة ساعد عدو الله فالتقيا بضربتين
كان السابق بالضربة عبد الله بن حذافة فوقع سيف
عبد الله تحت لحية البطريق أزما رأسه عن جسده
وعجل الله بروحه إلى النار وأسرع فأخذ سلبه
ورجع عبد الله إلى المسلمين فعظم ذلك على الروم
وكان ذلك البطريق له منزلة عالية عند
الملك فعند ذلك برز بطريق ثاني وقال إن كان
صاحب الملك قد قتل فلا بد ما آخذ بثاره وأقبل
البطريق إلى المسلمين بلسان فصيح وقال إنكم

تعينتم علينا فليبرز قاتل البطريق فلما سمع ذلك عبد الله
بن حداقة هم بالخروج إليه فمنعه ميسرة من ذلك
شفقة عليه لأنه تعب في قتال البطريق الأول
وهم ميسرة أن يلقاه بنفسه فقال عبد الله أيها
الأمير أتدعوني باسمي وأتخلف عنه إني إذا
لعاجز فقال له ميسرة إني أشفقت عليك من بعيد
فشكر له عبد الله وقال وعيش رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يبرز إليه إلا أنا **قال الواقدي**
ثم خرج عبد الله بن حداقة وتحته فرس البطريق
الذي قتله وما غير عبد الله من لامته شيئا وبيده
سيفه وحجفته فلما نظر البطريق إلى فرس صاحبه
علم البطريق أنه هو الذي قتل صاحبه فحمل
البطريق على عبد الله بن حداقة كأنه جبل
انهدم من علو وجذب عبد الله من سرجه فاقتلعه
إليه وأخذه أسيرا وأتى به إلى قومه فسلمه إليهم

وعاد البطريق ودعا إلى البراز بعد أن أمر بعبد الله
ابن حداقة السهمي فكبلوه في الحديد وحملوه على
خيل البريد وساروا به إلى عند الملك هرقل
بالقسطنطينية فلما برز البطريق قال ميسرة بن
مسروق أما تستحي من الله عز وجل يقول عن نفسه
أن تقف براية المسلمين وأنت تتفرج عليهم
وتتخلف عن القتال فما عذرك عند الله يوم الحساب
ثم استدعا بسعيد بن زيد بن عمر بن نفيل العدوي
وسلم إليه الراية وقال له كن للراية لازما
حتى أخرج إلى هذا العلج فإن قتلني فأجري واقع
على الله عز وجل وإن قتلته كان فداء لعبد الله
ابن حداقة فأخذ سعيد بن زيد الراية وخرج
ميسرة بن مسروق إلى قتال البطريق فلما
رآه البطريق علم أنه خرج يأخذ بثار صاحبه
فحمل ميسرة على البطريق وطال بينهما الحرب

والقتال إلى أن ضج الفريقان منهما فقال البطريق لميسرة
يا مسلم أيش هذه الراية التي أقبلت إلى نحو عسكركم
وظن ميسرة أنه يمكر به ثم قال البطريق وحق
ديني إن هذه الراية أقبلت نحو عسكركم
فهجم ميسرة على البطريق وأراد يقتلعه من سرجه
وإذا الملعون مرزوق في السرج فضرب العلج يد
ميسرة يريد أن يقطعها ويتخلص منه فسقط السيف
على يد العلج الشمال فقطعها فلما حس الملعون
بالسيف قطع يده انجذب يده ورجع هاربا إلى
عسكره وهو يضج من يده ضجيجا عظيما قال
الواقدي وأما الراية التي راها عدو الله وأخبر
بها ميسرة فإنها راية خالد وقد لحق بالمسلمين
فلما رجع ميسرة من قتال البطريق وسلم خالد
على ميسرة وسلم ميسرة على خالد وحدثه بما جرى له
مع الروم وبأسر عبد الله بن حذافة فصفق خالد

مير

على يديه وقال مثل عبد الله بن حذافة تؤسره الروم
والله لا فارق خالد حتى يخلصه الله عز وجل فلما كان
في الغد صرخ من عسكر الروم شيخ وعليه المسوح
وأقبل إلى عسكر المسلمين وأومأ بالسجود إلى خالد
فمنعه خالد من ذلك وقال له ما الذي تريد قال
إن بطريق الملك مذعن بالطاعة وإنه لما رأى
هذا الجيش المقبل إليكم علم أنه لا طاقة له
بقتالكم وإنه يقول هل لكم في صلحنا ونرد
عليكم أسيركم ونحمل لكم من المال ما
أردتم وترجعون من بلدنا قال أما الرجوع فلا
نرجع إلا بانفصال وأما الأسير فإن أطلقتموه طوعا
وإلا أطلقتموه كرها قال الشيخ أنت أمير
العرب قال نعم قال إن رأيت أن تؤخر القتال
عنا يومنا هذا فافعل لندبر الرأي بيننا وبين
هذا البطريق فنجيبكم إلى ما تريدون قال لهم

خالد قد أجبتكم إلى ذلك فرجع الشيخ وأخبر البطريق
بذلك فلما كان ذلك وأقبل الليل أمر البطريق
عسكره أن يضرموا النيران على أبواب الخيام في
أول الليل فلما أوقد الروم النيران هربوا وخلّوا
الخيام والسرادقات فلما أصبح الصباح ركب
المسلمون وانتظروا أحدا يخرج إليهم من الروم
فلم يروا أحدا فعلموا أنهم هربوا فعض خالد على أنامله
وقال إنا لله وإنا إليه راجعون فهمّ خالد أن يتبعهم
فمنعه ميسرة من ذلك وقال إننا نرجع إلى عسكر
المسلمين لأن هذه البلاد بلاد وعرة فأخذ المسلمون
خيام الروم ورجعوا منصورين إلا أنهم حزنوا حزنا
شديدا على عبد الله بن حذافة قال الواقدي
فلما وصل خالد وميسرة إلى عسكر المسلمين
فالتقاهم أبو عبيدة وفرح بسلامتهم وعلم أن ما
قتل من المسلمين غير خمسين رجلا فأعلموه بأسر

عبد الله بن حذافة فلما وصل الكتاب إلى عمر بن الخطاب
فرح بنصر المسلمين إلا أنه حزن على أسر عبد الله بن حذافة
وقال له أنا أكتب إلى هرقل كتابا إن لم يطلق
عبد الله بن حذافة لأبعثن إليه جيوشا ولأطبقن عليه
الأرض ثم كتب إليه عمر بن الخطاب كتابا
يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب
العالمين الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم من عمر بن الخطاب
أمير المؤمنين إلى هرقل طاغية الروم أما بعد
فإذا وصل إليك كتابي هذا تبعث لي الأسير الذي
عندك وهو عبد الله بن حذافة فإن فعلت ذلك
رجوت لك الهدى وإن أبيت ذلك بعثت إليك
رجالا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والسلام
على من اتبع الهدى ثم طوى الكتاب وختمه وبعث
به إلى أبي عبيدة ليبعث به إلى هرقل فلما وصل

الكتاب إلى أبي عبيدة ادعا برجل من المعاهدين وأعطاه
ديته رقبته وقال له انطلق بهذا الكتاب إلى ملك الروم
هرقل بالقسطنطينية العظما وأتني بالجواب
سريعا فأخذ المعاهدي الكتاب وسار إلى أن وصل إلى
القسطنطينية ودخل على هرقل وناوله الكتاب
فأخذ هرقل الكتاب وقرأه فلما فهم ما فيه ادعا
بالأسير وهو عبد الله بن حذاقة فلما وقف بين
يديه قال له من أنت قال رجل من قريش قال
أنت من بيت نبيك قلت نعم قال فهل لك أن
تتبع ديني وأزوجك ابنة بطريق من هؤلاء البطارقة
وأجعلك أكبر من في عسكري وأجعل لك
من المال كذا وكذا ثم إن هرقل أحضر
سفطا فيه جوهر وقال له يكون هذا كله لك
وكل من لحم الخنزير واشرب الخمر قلت
لا كان ذلك أبدا فاقض ما أنت قاض قال الواقدي

وإن هرقل كان قد مات يوم خروجه من انطاكية وإن الذي
يخاطب عبد الله بن حذافة بهذا الكلام ابن الملك هرقل وكان
قد سماه باسمه وإن هرقل مات مسلما قال الواقدي
فلما ورد على هرقل كتاب عمر بن الخطاب وقرأه أعطا لعبد
الله بن حذاقة مالا وقال له توصل هذا لعمر بن الخطاب
وأرسل معه خيلا توصله إلى أن يخرج من الدروب
فلم يزالوا معه حتى خرج من الدروب ووصل إلى جيش أبي
عبيدة ففرح بقدومه وبعثه أبو عبيدة إلى المدينة
مع عشر فوارس من المسلمين فلما قدم عبد الله بن
حذاقة على عمر بن الخطاب سلم عليه وفرحوا بسلامته
وقدم عبد الله المال إلى عمر وكان في المال لؤلؤا
فأعرضه عمر على تجار المدينة فلم يعرفوا له ثمنا
وقالوا يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قد جاك به فخذه
بارك الله لك فيه فعند ذلك أمر عمر الناس أن يجتمعوا
إليه فاجتمعوا حتى امتلأ بهم المسجد ورقا عمر المنبر

خطيبا وقال أيها الناس إن كلب الروم قد وجه إلي بهذا اللؤلؤ
وقد جعلني المسلمون منها في حل فما تقولون قالوا بارك الله لك فيه
فعند ذلك أمر عمر الناس أن يجتمعوا إليه فاجتمعوا وقال
لا إله إلا الله إن كنتم أنتم حاللتموني فكيف لي بالغائبين
والمجاهدين من المسلمين والذي في الأصلاب والبطون
من أولاد المهاجرين والأنصار فلا طاقة لعمر بمطالبتهم
يوم القيامة ثم إن عمر أباعه وجعله في بيت مال
المسلمين قال عمر بن سالم أخبرني عبد الله بن عامر قالوا
جميعا إنه لما فتح أبو عبيدة انطاكية وكان من
أمر ميسرة بن مسروق ما كان وأقام أبو عبيدة على
حلب ينتظر ما يكون من أمر عمرو بن العاصي على
قيسارية فجاءت أهل المعرا وكفرطاب وفاهية
وجبل أبي قبيس وما والاه من الحصون إلى أبي عبيدة
وصالحوه على حصونهم ومدائنهم فصالحهم أبو عبيدة
على ذلك وكتب لهم كتاب الصلح وانصرفوا إلى بلادهم

ذكر فتح قيسارية وعمرو بن العاصي

وما جرا له مع قسطنطين ابن الملك هرقل من الحرب والقتال
قال الواقدي ولقد بلغني أن عمرو بن العاصي سار إلى
قيسارية في خمسمائة فارس من المسلمين منهم عبادة بن
الصامت وعمر بن ربيعة وبلال بن حمامة وربيعة
ابن عامر ومثل هولاء رضي الله عنهم أجمعين قال شيبان
ابن جحضرمة الخزاعي كنت مع عمرو بن العاصي فارتحل
بنا حتى نزل بموضع يقال له نخل وبلغ الخبر إلى قسطنطين
ابن الملك هرقل وكان وكان كل من انهزم من
جيش أبيه أتا إليه واجتمع عنده من البطارقة
والمدبجة والسريانية حتى بلغ جيشه ثمانين ألفا
فدعا قسطنطين برجل من المتنصرة وقال له امض
وتجسس لنا أخبار العرب واخبر لنا جيشهم وأتني بالخبر
فمضى الجاسوس حتى دخل عسكر عمرو بن العاصي
فمر بقوم من أهل اليمن يصطلون بالنار فأوى إليهم

وجلس بينهم ليسمع حديثهم فلما أراد القيام عثر فى ذيله
فقال كلمة فزلت لسانه فلما سمع المسلمون كلامه
علموا أنه متنصر وجاسوس الروم فوثبوا إليه فقتلوه
فوقع الصايح فى العسكر حتى سمع عمر ضجة هايلة
فقال ما الخبر قالوا إن قوما من اليمن التقوا بجاسوس
فقتلوه فصعب ذلك على عمرو بن العاصى فاستدعى
بأهل العسكر إليه وقال لهم من وقع منكم بجاسوس
فليأت به إلى **قال الواقدي** هذا ما كان
من أمر المسلمين وأما ما كان من عدو الله قسطنطين
ابن الملك هرقل فإنه استبطا جاسوسه فعلم أنه قتل
فأرسل غيره ليأتيه بالخبر فأشرف الجاسوس على تل
وعاين جيش المسلمين وجنوده وعاد إلى الملك
قسطنطين وقال أيها الملك إنى حزرت عسكر
المسلمين فوجدتهم خمسة آلاف فارس إلا أنهم
أسد ضراغم ونسور قشاعم يرون الموت مغنما

والحياة مغرما فلما سمع قسطنطين ذلك من جاسوسه قال
لا بد لى من قتالهم ثم جمع البطارقة والأراجية والمدبجة
واختار منهم عشرة آلاف فارس وعقد راية على قناة
تامة وجعل فى أعلاها صليبا من الذهب وسلمها إلى
بطريق يقال له تكلا وقال له قد وليتك على
هذا الجيش فسر بهم فأنت طليعة القوم فأخذ البطريق
العشرة آلاف فارس وسار من يومه ثم إن قسطنطين
عقد صليبا ثانيا وسلمه إلى مرتق العسكر واسمه
جرجاوس وضم إليه عشرة آلاف فارس وأمره أن
يلحق البطريق الأول فلما كان فى اليوم الثانى خرج
قسطنطين فى بقية العسكر وترك على حفظ قيسارية
ولده وترك عنده عشرين ألفا قال سنان ابن عوف
فبينما نحن كذلك إذ أشرف علينا البطريق الأول
فى عشرة آلاف ففرحنا بذلك وقلنا نحن فى خمسة
آلاف كل واحد منا يقابل اثنين من الروم فبينما

نحن كذلك إذ طلع علينا البطريق الثاني في عشرة آلاف
أخرى فقال عمرو بن العاص أيها الناس اعلموا أنه من أراد
الله والدار الآخرة فلا يرتاع من كثرة العدو ولا
من تزايد المدد ثم جمع إليه أبطال المسلمين وقال
إني رأيت من الرأي أن أنفذ إلى الأمير أبي عبيدة أن
يمدنا بالخيل والرجال فإن هذا جيش عظيم ثم أمر
الناس بالتأهب إلى لقاء العدو فركب المسلمون وقد
رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير فأجابتهم التلال
والجبال والأودية الحوال والأوعار وسكان
تلك الأرض فارتاع المشركون عند سماع أصوات
المسلمين فبينما هم كذلك إذ أشرف قسطنطين
بجميع جيشه ثم ادعا قسطنطين ابن الملك هرقل
يريد أن تنفذوا إليه رجلا يكون أفصحكم لسانا
وأجراكم جنانا فلبس القس ثوبا أسود وبرنسا
من شعر وركب على بغلة شهباء وأخذ بيده صليبا

من الجوهر وسار حتى وصل إلى عسكر المسلمين فوقف
بحيث يسمعون كلامه وقال يا معاشر المسلمين إني رسول
الملك إليكم وإنه يريد صلحكم ولا يبغي قتالكم
لأنه عليم بدينه بصير بأمره وإن الملك يريد أن ينفذ
إليه رجلا يكون أفصحكم لسانا وأجراكم جنانا
فلما سمع عمرو بن العاص كلامه قال أيها الناس
سمعتم ما قال هذا الأغلف فمن يبادره في مرضات
الله تعالى وينظر ما يتكلم به كلب الروم فقال
بلال بن حمامة مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنا أجيب إلى ذلك وكان بلال رضي الله عنه رجلا
أسود طويلا كالنخلة السحوق بصاص السواد عيناه
حمر كأنهما علق جوهري الصوت فخرج بلال
نحو القس فلما نظر إليه القس خافه وهابه وكان
بلال يلبس قميصا أبيض من الشام وعلى رأسه عمامة
صوف متقلدا بسيفه ومزوده على عاتقه وبيده

عصاته فلما برز بلال من عسكر المسلمين ونظر اليه
القس قال إن العرب قد هانا عليهم فبعثوا إلينا عبدا
أسود من عبيدهم ثم قال القس لبلال ابن حمامة
أيها العبد بلغ مولاك وقل له إن الأمير يرسل إلى الملك
أميرا منكم حتى يخاطبه بما يريد فقال أيها القس
إني بلال ابن حمامة مؤذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولست بعاجز عن جوابك وجواب صاحبك
فقال له القس قف مكانك حتى أعلم الملك بذلك
ثم عاد القس ووقف بين يدي الملك قسطنطين وقال
أيها الملك إن العرب قد بعثوا لنا عبدا من عبيدهم
ليخاطبك فقال له ارجع إليهم وقل لهم يبعث إليكم
ملك النصرانية يريد منكم رجلا يخاطبه تبعثون
إليه عبدا من عبيدكم فرجع القس إلى بلال
وقال له يا أسود إن الملك يقول لك لسنا نخاطب
العبيد بل نخاطب صاحب جيشكم والمقدم عليكم

فرجع

فرجع بلال إلى عمرو بن العاصي وأخبره بذلك فسمعه شرحبيل
ابن حسنة فقال لعمرو بن العاصي أنا أمضي إليه فقال عمرو
ويدعوني وتخرج أنت إليه ثم خرج عمرو بن العاصي
وقد لبس من فوق ذرعه جبة حمراء وعلى رأسه
عمامة من صناعة اليمن إذا رآها على رأسه كورا
وأرخا لها عذبة وفي وسطه منطقة سيور وتقلد
بسيفه وسار حتى وقف بإزاء الترجمان ثم عطف القس
إلى الملك قسطنطين وقال أيها الملك إن أمير العرب
قد قدم عليك فقال له الملك ائت به وأخذ الملك
في زينة ملكه وأوقف بطارقته والمذبحة عن
يمينه وعن شماله والحجاب بين يديه فأقبل القس إلى
عمرو وقال له إن الملك أذن لك فسر معي فسار عمرو
ابن العاصي وهو يخوض في عسكر نصارية إلى أن
وقف على باب سرادق الملك فسلم بتحية العرب
فقربه الملك وأدناه وقال له مرحبا يا أمير قومه

ووسّع له وأراد أن يجلسه على السرير فامتنع عمرو من ذلك
وقال بساط الله أطيب من بساطك ثم جلس عمرو على الأرض
باركًا وترك سيفه على فخذه وقال للملك قل ما شئت
يا عظيم قومه وأسأل عما تريد فقال له ما اسمك قال
اسمي عمرو بن العاصي وأنا من العرب الكرام فقال
له الملك قسطنطين إن كنت من العرب فنحن من الروم
وبيننا قرابة ورحم ونحن وأنت في النسب متصلون
لمن يكون متصلًا في النسب ما لهم بسفك الدما مع بعضهم
بعضًا قال عمرو وأنسابنا لاحقة بآبائنا وما نسبنا إلا دين
الإسلام وإذا كان الأخ وأخاه واختلفا على دين
الإسلام له أن يقتل أخاه إذ لم يدخل معه في دين الإسلام
وقد ذكرت أن نسبنا لاحق بك كيف يكون
نسبنا ونسبك واحدًا ونحن من قريش الكرام وأنتم
من الروم اللئام فقال قسطنطين يا عمرو وأبونا
آدم ثم حوى ثم إبرهيم أبو العيص بن إسحق وإسحق

١٤١ أخو إسمعيل وكلاهما أولاد إبرهيم فلا يجب على الأخ أن
يبغي على أخيه ولا يجور عليه في قسمته قال عمرو وإنك
لصادق في قولك الذي قلته وإن العيص ولد إسحق
وإسمعيل عم العيص ونحن بنو أب وجد أبونا نوح عليه
السلام وإن كان نوح قسم الأرض فإنه قسم لها
شطاطا حين غضب على ولد حام واعلم أن أولاد نوح
عليه السلام لم يرضوا بها واقتتلوا عليها زمانًا
وغلب بعضهم على بعض وهذه الأرض التي أنتم عليها
ليست لكم بل هي أرض العمالقة من قبلكم ه
فلما سمع قسطنطين كلامه قال صدقت وإنكم
باغون علينا ونحن نعلم أنما أخرجكم من بلادكم
إلا الجهد والقحط فقال عمرو أيها الملك ما زعمت
أن الضر أخرجنا من بلادنا فنعم كنا نأكل خبز الشعير
فلما صرنا إلى هذه البلاد ورأينا طعامكم وأكلناه
استطيبناه فلم نزل نقاتلكم حتى نأخذ منكم

البلاد ونصيركم لنا عبيدا فعند ذلك رفع قسطنطين
إلى قومه وقال لهم وحق المسيح ما لنا معهم ثبات فقال
عمرو بن العاصي فوجدت السبيل إلى وعظهم فقلت
اعلموا يا معاشر الروم أن الله سبحانه قد قرب عليكم
ما تطلبون فإن كنتم تريدون بلادكم تدوم
لكم فادخلوا في ديننا وصدقوا قولنا وأن الدين
عند الله الإسلام فقولوا لا إله إلا الله محمد رسول
الله قال قسطنطين يا عمرو إننا لا نفارق ديننا
وعليه ماتوا آباؤنا وأجدادنا قال له عمرو فإن
كنت كرهت الإسلام فأعطنا الجزية منك
ومن قومك وأنتم صاغرون فقال قسطنطين أنا
أجيب إلى ذلك إلا أن الروم لا تطاوعني ولقد
قال لهم أبي هرقل ذلك فأرادوا قتله فقال له عمرو
وهذا ما عندي من الإعذار والإنذار وقد حذرتكم
ما استطعت ولم يبق بيننا وبينكم إلا السيف

حكما والله يعلم أنني دعوتكم إلى أمر يكون فيه
النجاة فعصيتموني كما عصى أبوكم عيص على أخيه فدخلت
هيبة عمرو في قلب قسطنطين لما سمع من كلامه
وقال له امض إلى قومك حتى يحكم الله بيننا بما يريد
ثم إن عمرو ابن العاصي وثب من مكانه وأتى إلى
جواده فركبه وسار إلى أن وصل إلى جيش المسلمين
ففرح المسلمون بسلامته وباتوا تلك الليلة يتحارسون
فلما أصبح الصبح وأمرهم بالركوب إلى قتال
عدوهم فأسرعوا إلى ذلك واستووا في سروج
خيولهم واصطفوا للحرب والقتال قال الواقدي
حدثني قودة بن زيد عن موسى مولى الحصين قال
لما كان يوم قتال قيسارية صف قسطنطين جيشه
ميمنة وميسرة وقدم أمامه الرايات والصلبان
وكذلك عمرو بن العاصي أمر بترتيب العسكر
فبينما عمرو وقد عبا عسكره وإذا قد برز

من الروم بطريق وعليه ديباجة حمرا وتحتها ذرع حصين
ومن تحت الذرع جوشن منيع وفي عنقه صليب من الجوهر
فلما نظر المسلمون اليه لم يخرج اليه احد منهم فقال
عمرو ايها الناس من يخرج اليه ويهب نفسه لله تعالى
ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم فخرج اليه
رجل من العرب وقال انا ذلك الرجل وحمل على
البطريق وجعلوا يتضاربون بالسيوف الى ان اختلف
بينهما ضربتان كان السابق بالضربة البطريق
فالتقاها المسلم بالدرقة وكانت الدرقة جلد
بعير ولم يصل الى المسلم من الضربة شي وضرب
المسلم البطريق في اثر الضربة على راسه فقطع
السيف البيضة ولم يصل الى البطريق شي فلما
افاق البطريق حمل على المسلم وضربه ضربة
جرحه جرحا عظيما فطلب المسلم عسكر المسلمين
فشدوا جراحه ثم خرج الى الحرب وحمل على

عزيمه

عزيمه وضربه على عاتقه طلع السيف يلمع من علايقه وعجل الله
بروحه الى النار ثم حمل في جيش المشركين فقتل
رجالا ولم يزل كذلك حتى قتل رحمة الله عليه قال
عمرو هذا رجل اشترى من الله الجنة بنفسه اللهم
اعطه ما يتمناه قال الواقدي وكان قسطنطين
بعث الى ابيه قبل فتوح انطاكية ان ينجده برجال وابطال
فبعث اليه بطريقا اسمه فيدمون وكان من فرسان
الروم ويقال انه خال الملك وكان قد قاتل عسكر
الفرس وعسكر الترك وكان اللعين يحفظ بساير
الالسن فقال لقسطنطين ايها الملك لا بد لي من قتال
امير هولاء العرب والجهاد علي فرض فلم يقدر قسطنطين
ان يرده فلبس فيدمون لامة حربه وخرج الى القتال
وكلما عليه يلمع من الجوهر وغيره فضج المسلمون
بقول لا اله الا الله محمد رسول الله ولما برز عدو الله
اقبل العرب يهرعون اليه من كل جانب كل ذلك

للذى عليه فقال عمرو ان ثواب الله خير لكم مما عليه ولا يخرج احد يطلب سلبه فيكون خروجه لاجل ذلك فان قتل مات فى سبيل ما يطلبه فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه فعند ذلك خرج غلام من اليمن ومعه امه واخته يريدون الشام واخته تقول له حدثنا فى المسير حتى نصل الى بلاد الخصب وناكل من خيرات الشام فقال لها اخوها انما اسير الى الشام اطلب الجهاد واقاتل فى طاعة رب العباد لانى سمعت معاذ بن جبل يقول ان الشهدا عند ربهم يرزقون فقالت اخته كيف يرزقون وهم اموات قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل يجعل ارواحهم فى حواصل طيور فتاكل تلك الطيور من فواكه

الجنة وتشرب من انهارها فتغدوا الارواح من حواصل تلك الطيور فهو الرزق الذى جعله الله لهم فلما كان يوم قتال قيسارية خرج الغلام الى القتال بعد ان ودع امه واخته وداع الموت وقال لهما اجتماعنا عند حوض المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم خرج وبيده قناة تامة طويلة فحمل على البطريق وطعنه فانتشب السنان فى درعه فاراد انتزاعه من درع البطريق فضرب البطريق القناة بسيفه فطيرها نصفين ووقع الغلام ميتا رحمة الله عليه وجال الملعون على مصرعه وطلب البراز فخرج اليه رجل من المسلمين فقتله

ذكر قتال شرحبيل مع فيدمون

وما جرا له معه وخلاصه على يد طليحة بن خويلد قال الواقدى فلما نظر شرحبيل بن حسنة الى ذلك اقبل يعاتب نفسه ويقول انتى تتفرجين على قتل المسلمين ثم خرج والراية بيده الذى عقدها له

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم خروجه إلى الشام
فلما نظر إليه عمرو وقد عول على القتال قال له
يا عبد الله اركز الراية واخرج فركزها شرحبيل
فوقفت كالنخلة وغاصت في حجر كأنها منه وخرج
إلى قتال ويدمون والناس يدعون له بالنصر على
عدوه فلما رآه البطريق ضحك وكان للملعون
صوت كالرعد القاصف وشرحبيل نحيف الجسم
من كثرة صيامه وقيامه فلما سار الملعون في
حومة الميدان حمل كل منهما على صاحبه واستبقا
بضربتين كان السابق بالضربة شرحبيل رضي الله
عنه فلم يعمل سيف شرحبيل في عدو الله شيئا ثم
تواخذا بالأطواق قال سعيد بن روح وكان ذلك
اليوم كثير البرد والسحاب فبينما هما في المعركة
إذ نزل المطر كأنه أفواه القرب فسقطا عن
الخيل إلى الأرض وجعلا يصطرعان في وسط الطين

بين

غير أن عدو الله حمل على شرحبيل وضرب بيده على مراق
بطنه فاقتلعه من الأرض ودحا به على ظهره ثم
استوى على صدره وهم أن ينحر عدو الله فقال
شرحبيل يا غياث المستغيثين فما استتم شرحبيل كلامه
حتى خرج من عسكر الروم فارس عليه لامة حرب
ومن تحته جواد من عتاق الخيل فقصد موضع
البطريق وشرحبيل فلما نظر إليه البطريق ظن
أنه خرج يغطي جواده من المطر فلما قرب الفارس
منهما ترجل عن جواده ومال على البطريق ورفصه
برجله أرماه عن صدر شرحبيل بن حسنة وقال
يا عبد الله قم فقد أتاك الغوث من غياث المستغيثين
فنظر إليه شرحبيل متعجبا من قوله والفارس
ملثم وقد جرد سيفه وضرب البطريق قتله
فقال له شرحبيل والله ما رأيت أعجب من أمرك
وقد رأيتك خرجت من جيش المشركين

فمن أنت قال أنا الشقي أنا طليحة ابن خويلد الأزدي
الذي ادعيت النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكذبت على الله عز وجل وزعمت أن الوحي كان
ينزل علي من السماء فقال له شرحبيل إن رحمة الله
وسعت كل شيء ومن تاب وأقلع وأناب قبل الله
توبته وغفر ما كان من ذنوبه لأني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التوبة تجب ما
قبلها أما علمت أن الله عز وجل أنزل على عبده ورحمتي
وسعت كل شيء فطمع كل واحد حتى إبليس طمع
فلما أنزل الله تعالى فسأكتبها للذين يتقون
ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون
قالت اليهود نحن نؤتي الزكاة ونؤمن
بالآيات فأراد الله عز وجل أن يغبر فهم فضل هذه
الأمة فقال الذين يتبعون الرسول النبي الأمي
فقال طليحة والله ما لي وجه ألقى به المسلمين

فقال له شرحبيل لست أدعك إلى أن ترجع معي إلى
عسكر المسلمين فقال له طليحة ما يمنعني من المسير
معك إلا الفظ الغليظ يعني خالد بن الوليد وإني أخاف
أن يقتلني قال شرحبيل إن خالدا ليس هو معنا وإن
هذا الجيش لعمرو بن العاصي فرجع معه فلما قربنا
من المسلمين تبادروا إلينا وقالوا يا عبد الله من هذا
الرجل الذي معك ولقد صنع بك معروفا فقال
شرحبيل هذا طليحة بن خويلد الأسدي وقد تاب
ورجع إلى الله سبحانه وتعالى قال شرحبيل فأتيت به
إلى عمرو بن العاصي فسلم عليه ورحب به

حديث طليحة بن خويلد

وما كان منه قال حدثني سالم بن عمر المزيدي
قال أخبرني صالح بن عون النخعي قال حدثني حسان
ابن عامر الربعي عن جده قال بلغني أن طليحة بن
خويلد الأسدي لما كان من أمره ما كان

وادعا النبوة وما جرا له من الحروب مع خالد بن الوليد
وسمع أن خالد بن الوليد قتل مسيلمة بن قيس
الكلابى وشجاع الذى ادعا النبوة وقتل الأسود
العبسى لأنه قال إنه نبى فخاف طليحة على نفسه
فهرب فى الليل ومعه زوجته إلى الشام واستجار
برجل من آل كلب وكان الكلبى مومنا فأجاره
وجلس عنده إلى أن استخبره عن حاله فحدثه طليحة
بجميع أمره وما جرا له مع خالد بن الوليد من الحرب
وأنه ادعا النبوة فغضب الكلبى غضبا شديدا
ثم طرده من جواره فأقام طليحة بالشام وقد
تاب من أمره فلما بلغه موت أبى بكر الصديق
قال ذهب من جردت السيف فى وجهه فقال
من تولى الأمر من بعده قالوا عمر بن الخطاب
قال الفظ الغليظ وخاف أن يمضى إلى عمر
وفزع من خالد بن الوليد أن يراه بالشام

فقصد

فقصد قيسارية وركب فى مركب قسطنطين فلما
كان من أمر شرحبيل ما فعله الله له ودخل عسكر
المسلمين قال يا عمرو إنى أخاف من خالد أن يرانى
يقتلنى فقال له عمرو وأنا أشير عليك بشى تصنعه
وتفوز بنفسك فى الدنيا والآخرة قال وما هو قال
له عمرو أكتب لك كتابا بما صنعته مع شرحبيل
وأخذ لك عليه شهادة المسلمين وتنطلق به إلى عمر
ابن الخطاب وتدفعه له وتظهر له التوبة فأجابه
طليحة إلى ذلك فكتب عمرو كتابا إلى أمير المومنين
بما صنع طليحة مع شرحبيل وأنه تاب إلى الله وأخذ
عليه شهادة المسلمين ثم طواه وأعطاه لطليحة
فأخذه طليحة وسار إلى أن قدم على مدينة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد أمير المومنين
عمر بن الخطاب فى المدينة فسأل عنه فقالوا
إنه بمكة فمضى طليحة إلى مكة ودخل الحرم

فوجد عمر بن الخطاب متعلقا باستار الكعبة فتعلق
به طليحة وقال يا امير المومنين اني تايب الى الله عز
وجل مما جنيته فقال عمر بن الخطاب ومن انت
قال انا طليحة بن خويلد فقفز منه عمر وقال
يا ويلك ان انا عفوت عنك فكيف تصنع غدا
بدم عكاشة ابن محصن الاسدي قال طليحة
يا امير المومنين ان طليحة رجل اسعده الله على
يدي وشقيت انا بسببه وارجوا ان يغفر الله لي بما
عملته فاخرج اليه كتاب عمرو بن العاصي فلما قراه
عمر وفهم ما فيه فرح وقال ابشر يا طليحة فان
الله غفور رحيم ثم امره عمر ان يقيم معه بمكة
حتى يرجع الى المدينة فاقام معه اياما فلما رجع عمر بن
الخطاب الى المدينة وجه به الى قتال اهل فارس
قال الواقدي رضه ورجعنا الى الحديث وذلك
انه لما قتل الله البطريق قيدمون على يد طليحة

ونجا شرحبيل بن حسنة مما كان فيه ورجعا الى عسكر
المسلمين وكان البرد شديدا فقطع المسلمون
القتال فلما نظر البطريق قيدمون وقد قتل
وكان ركن الملك قسطنطين هم بالرجوع الى
قيسارية وخاف ان يملك وهو خارج منها قال
سعيد بن جابر وكان ذلك رحمة من الله عز
وجل فلما كان في اليوم الرابع ارتفع المطر
وطلعت الشمس فخرجنا من الجابية نطلب قتال
الروم فلم نرهم فبعد ذلك كتب عمرو بن العاصي
كتابا الى ابي عبيدة يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عمرو بن العاصي بن وايل السهمي الى ابي عبيدة
عامر بن الجراح عامل امير المومنين على الشام
وقايد جيوش الاسلام سلام عليك فاني احمد الله
الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم تسليما كثيرا اما بعد فاعلم ان قسطنطين

ابْنُ الْمَلِكِ هِرَقْلَ خَرَجَ إِلَى لِقَائِنَا فِي ثَمَانِينَ أَلْفًا وَشَرَحَ
فِي الْحَدِيثِ أَسْرَ شُرَحْبِيلَ وَخَلَاصَهُ وَأَنَّ عَدُوَّ اللهِ هَرَبَ
إِلَى الْمَدِينَةِ وَالسَّلَامُ ثُمَّ طَوَى الْكِتَابَ وَأَعْطَاهُ لِسَعِيدِ
ابْنِ جَابِرٍ فَأَخَذَهُ وَسَارَ إِلَى أَنْ قَدِمَ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ
وَهُوَ عَلَى حَلَبَ فَأَخَذَهُ وَقَرَأَهُ فَلَمَّا فَهِمَ مَا فِيهِ كَتَبَ
لَهُ جَوَابَهُ فَإِنَّهُ نَحْمَدُ اللهَ عَلَى سَلَامَةِ الْمُسْلِمِينَ
وَأَنَّكَ تَنْزِلُ عَلَى قَيْسَارِيَّةَ فَإِنِّي وَاصِلٌ إِلَيْكَ وَرَاءَ كِتَابِي
وَاصِلٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى إِلَى صُورٍ وَعَكَّةَ وَطَرَابُلُسَ
قَالَ الْوَاقِدِيُّ فَلَمَّا هَمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ بِالنُّزُولِ
عَلَى جَنْبِ السَّاحِلِ وَقَالَ لَعَلِّي أَنْ أَفُوزَ مِنَ الرُّومِ
نوتب يُوقَنَّا وَالْتَفَتَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَبَنُوا عَمِّهِ
وَكَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافِ فَارِسٍ وَفِي عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ
مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ بَطَارِقَةِ الرُّومِ أَزْيَدُ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ
فَارِسٍ غَيْرُ أَصْحَابِ يُوقَنَّا قَالَ الْوَاقِدِيُّ حَدَّثَنِي
جَعْفَرُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ نَاصِحٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ

ابن

ابْنُ عُمَرَ السُّلَمِيُّ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ اللَّيْثِيِّ قَالُوا جَمِيعًا
إِنَّهُ لَمَّا انْهَزَمَ قُسْطَنْطِينُ إِلَى قَيْسَارِيَّةَ بَعَثَ إِلَيْهِ
أَهْلُ طَرَابُلُسَ يَطْلُبُونَ مِنْهُ النَّجْدَةَ فَنَفَذَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ
آلَافِ فَارِسٍ وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ بِطْرِيقًا يُقَالُ لَهُ حَرْفَاسُ
فَلَمَّا كَانُوا بِالْقُرْبِ مِنْ طَرَابُلُسَ نَزَلُوا فِي مَرْجٍ
لِيُعَلِّقُوا عَلَى خَيْلِهِمْ وَيَلْبَسُونَ سِلَاحَهُمْ فَبَيْنَمَا هُمْ
كَذَلِكَ إِذْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ يُوقَنَّا وَأَصْحَابُهُ
وَكَانَ فِي صُحْبَتِهِ يُوقَنَّا وَفِيلَطَانُوسُ صَاحِبُ
أَرُومَةَ الْكُبْرَى رَحِمَهُ اللهُ وَكَانَ مُعَوِّلًا عَلَى
زِيَارَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالْمُقَامِ بِهَا هُوَ وَأَهْلُهُ فَلَمَّا
أَشْرَفُوا عَلَى الْمَرْجِ وَهُمْ لَابِسُونَ زِيَّ الرُّومِ فَلَمَّا
نَظَرَ إِلَيْهِمْ حَرْفَاسُ رَكِبَ بِنَفْسِهِ لِيَسْتَخْبِرَ
حَالَهُمْ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ لَهُمْ مَنْ أَنْتُمْ قَالَ لَهُ يُوقَنَّا
نَحْنُ الَّذِينَ لَجَأْنَا إِلَى هَؤُلَاءِ الْعَرَبِ لِنَسْتَكْفِيَ
شَرَّهُمْ وَنَحْسَبُ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ وَإِذَا هُمْ طَاغِيَةٌ

لا دين عندهم فهرب بنا بين يدينا نحن وأصحابنا ونحن سائرون
إلى الملك قسطنطين نكون تحت ركابه فلما سمع
جرفاس ذلك أنس بالقوم ورحب بهم وقال انزلوا
عندنا حتى تستريحوا من التعب فقال يوقنا وأين أنتم
قاصدون فقال جرفاس بعثنا الملك نجدة لأهل
طرابلس فقال له يوقنا كونوا متيقظين على
حذر فإن أمير العرب أبو عبيدة خلفناه وهو يريد
المسير إلى الساحل فنزل يوقنا بأصحابه عندهم
ساعة وقدموا لهم من أزوادهم وودعهم يوقنا
وسار **قال الواقدي** حدثني سليم بن عامر قال
حدثني نوفل بن عبد الله عن جريج ابن البكا
وكان أعرف الناس بفتوح الشام قال إن
يوقنا ما دخل الساحل إلا وقد أتقن الحيلة وذلك
أنه أخذ طريقه على وادي الأخرم وكان
ذلك الوادي في صلح المسلمين وكان قد

نزل فيه الحارث ببني عمه يرعون إبلهم فغار عليهم
يوقنا فأخذهم أسرا ونزل بهم بلاد الساحل فلما
جن الليل قال لهم يوقنا في السر لا تظنون أني
رجعت عن دين الإسلام وإنما فعلت هذا لتسمع
الروم فقال له الحارث وأصحابه إن كنت تريد
نصر الله تعالى فالله ينصرك فلما نظر جرفاس إلى
ذلك اطمأن وركب يوقنا وأصحابه يورون
الجرفاس أنهم طالبون قيسارية ثم طلبوا طريق
طرابلس وكمنوا بالليل في طريق جرفاس
فركب جرفاس وطلب طرابلس فلما توسط
الكمين أطبق عليه يوقنا وأصحابه وفيلطانوس
وأصحابه فلم ينفلت من أصحاب جرفاس ولا
واحد بل أخذوهم قبضا بالكف وأراد يوقنا
أن يفلت الحارث وأصحابه فقال له الحارث
إني أرى من الرأي أن تتركونا على ما نحن فيه

فأين ما أتيتم بنا من بلاد الساحل فإن الله يفتحه فقال
يوقنا نعم الرأي ثم إن يوقنا أخذ الأسارى من الروم
وجرفاس معهم ولبس أصحابه زي أصحاب قيسارية
وسار إلى أن وصل إلى طرابلس فخرج أهلها إلى
لقائهم وكان رسول قسطنطين قد وصل إلى
أهل طرابلس وأخبرهم أن الملك أرسل إليكم
ثلاثة آلاف مع بطريق اسمه جرفاس فلما دخل
يوقنا طرابلس بأصحابه واستقر في دار الإمارة
ثم دخلوا إليه شيوخ طرابلس والبطارقة فلما
حصلوا عنده قبض عليهم وقال يا أهل طرابلس
إن الله عز وجل قد أعز الإسلام وإننا كنا نتخبط
في الضلال ونسجد للصور والصلبان ونجعل لله
زوجة وولدا وقد هدانا الله لهؤلاء المسلمين
ولنبيهم وهو النبي المبعوث الذي بشر به المسيح
وإن دين الإسلام هو الحق فإن كنتم تؤمنون

بالله

١٥١

بالله ورسوله وإلا فالجزية وهذا اما ثم غيره فلما علمت
أهل طرابلس أن يوقنا قد احتال عليهم وأخذ البطريق
ومن معه الذي بعثهم إليه الملك قسطنطين فمنهم من
أسلم ومنهم من أذعن بالجزية وعدل فيهم يوقنا
وبعث يوقنا إلى الكمين فجاؤوا بجرفاس البطريق ومن
معه وهم موثقون بالحديد فأعرض عليهم الإسلام
فأبوا فضرب أعناقهم وحل الحارث ومن معه وكتب
كتابا إلى أبي عبيدة بما جرى له وأرسله مع الحارث
فسار الحارث بالكتاب إلى أبي عبيدة وأخبره بذلك فتعجب
أبو عبيدة من ذلك وقال اللهم أيده بالنصر قال
الواقدي حدثني عامر بن أوس قال أخبرني صالح
ابن سالم قال حدثني موسى بن مالك قال إن عمرو بن
العاصي لما وقع المطر سار ونزل على قيسارية فأما
يوقنا فإنه ملك طرابلس واحتوى عليها واستوثق
من صورها نزل أصحابه على الأبواب وقال لا تدعون

أحدًا يخرج من المدينة وكان في المدينة مراكب
كثيرة فأخذ عددها ورجالها حتى لا يعلموا أهل الساحل
بما عمل يوقنا فلما كان في الليل سلم يوقنا طرابلس
إلى أولاد عم الحارث ولقيلطانوس صاحب أرومة
وأخذ رجاله وهم أن ينزل في المراكب وكان
عند غروب الشمس إذ أقبل خالد بن الوليد ومعه
ألف فارس فسجد يوقنا شكرًا لله وسلم إليه المدينة
وحدثه بما جرا وبما عزم عليه قال له خالد نصرك
الله وأيدك ثم ركب يوقنا في المراكب وسار
إلى صور وكان في صور من جيش الملك أربعة
آلاف فارس فما أصبح يوقنا إلا على صور فبعث
الملك يستخبرهم فقال يوقنا للرسول ارجع إلى
الملك هرقل وقل له نحن أهل قبرص وصلوا إلى
الملك بالميرة فلما رجع الرسول إلى الملك وأخبره
بذلك أمر الملك بإحضارهم ورحب بهم وأكرمهم

فلما صار يوقنا بمن معه في دار الضيافة وكان رجل
من بني عم يوقنا قلبه يميل إلى الملك فأخبر الملك
أن هذا يوقنا أخذ طرابلس وجاء يحتال عليك
وأن من أمره كيت وكيت ، **قال الواقدي**
حدثني معيط بن عامر عن عباد بن أسد قال لما
دخل يوقنا وأصحابه إلى صور وحضروا ضيافة الدمستق
أقبل اللعين ابن عم يوقنا وأخبر الدمستق بخبر يوقنا
فخرج يوقنا في الجيش الذي معه ولم يكذب الخبر
وقبض على يوقنا وأصحابه وأراد أن يبعثهم إلى
الملك قسطنطين إلى قيسارية وإذا بصيحة عظيمة
قد وقعت فسأل عنها الدمستق فقالوا له إن العرب
أقبلوا يحاصرونك وذلك أن عمرو بن العاصي
لما نزل على قيسارية يحاصرها فلما سمعوا بذلك
غلقوا الأبواب وأشرفوا على الصور بآلة الحرب
واستقلوا المسلمين وقال الدمستق وحق المسيح

لأخرجن إليهم ولبس سلاحه هو وعسكره وترك على
حفظ يوقنا ومن معه ابن عمه وكان اسمه باسيل
وكان باسيل قد قرأ الكتب السالفة والأخبار
الماضية وكان قد رأى محمدا صلى الله عليه وسلم
في دير بحيرا الراهب وكان على أيام بحيرا الراهب
جاءت قافلة من الحجاز من أهل قريش فنظر الراهب
بحيرا إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم والغمامة على
رأسه تظله من حر الشمس فقال الراهب هذه صفة
النبي صلى الله عليه وسلم وإذا القافلة نزلت والنبي
وحده جالس تحت شجرة يابسة واستند النبي إليها
بظهره فأورقت وأثمرت في الوقت فلما عاين
بحيرا ذلك صنع طعاما واستدعا قريشا فلما حضروا
عنده لم يرى النبي صلى الله عليه وسلم فيهم قال
يا قريش بقي منكم أحد قالوا بقي معنا صبي تخلف
يرعى إبله قال ما اسمه قالوا اسمه محمد بن عبد الله

قال بحيرا هل مات أبوه وأمه قالوا نعم قال بحيرا
بجلوه وعظموه فهو والله سيدكم وبه يعظم الله
في الورى قدركم **قال الواقدي** وكان
من حسن تدبير الله لعباده المؤمنين أن الدمستق لما
خرج إلى لقاء يزيد بن أبي سفيان لم يدع أحدا من
شباب المدينة إلا أخذه معه ولم يدع في المدينة
إلا الشيوخ والأطفال فلما نظر باسيل ابن مخايل
إلى المدينة وخلوها أجمع أمره على خلاص يوقنا
وأصحابه فأقبل عليهم بالليل وقال ليوقنا أيها
البطريق كيف تركت دين آبائك وأجدادك
فقال له يوقنا ظهر لي ما ظهر لك من الحق فعرفته
وهتف بي هاتف وأعلمني أن الله قد هداك
وبشرني بخلاصي أنا وأصحابي على يديك فلما سمع باسيل
مقالة يوقنا قال لقد أنطق الله لسانك بالحق ولقد
اتبعت طريق الصدق وإن الله قد كشف حجاب

الغفلة عن قلبك وقلبي وإنني رأيت بني هؤلاء العرب
في دير بحيرا الراهب قال له يوقنا وما الذي عزمت
عليه قال عزمت أن أفارق ديني وأتبع دين الحق
ثم حل يوقنا وأصحابه ونا ولهم العدة وقال له
اعلم أن مفاتيح القلعة عندي والعسكر خارج
البلد وليس في هذه المدينة من تخاف شره فقال
له يوقنا يجب علينا أن نبعث إلى أصحابنا الذين في
المراكب حتى يطلعوا إلينا فنكون نحن وإياهم يدا واحدة
قال باسيل سأفعل لك ذلك على حال الخفا وفتح باب
السر وركب في زورق ومعه رجل من بني عمه يوقنا
ووصل إلى المراكب وحدث أهلها بما كان وأقبل
كل من في المراكب وأعمى الله أبصار الظالمين
عنهم فلما هموا أن يثوروا قال يوقنا ليس هذا صوابا
ولكن نبعث رجلا منا إلى الأمير يزيد فنخبره بأمرنا
ثم إن يوقنا بعث رجلا إلى يزيد بن أبي سفيان

وأخبره بما كان من يوقنا فلما أخبره ورجع إلى يوقنا
سالما فقال يوقنا لأصحابه اصعدوا إلى السور وأعلنوا
بكلمة التوحيد فلما صعدوا وأصحاب يوقنا على السور
ضجوا بالتهليل والتكبير فسمع يزيد تكبير المسلمين فحمل
بمن معه على الدمستق فلما سمع الدمستق ضجة المسلمين
في المدينة علم أن يوقنا قد تخلص من الأسر فوقع
الرعب في قلوب الروم فولوا الأدبار وركنوا إلى
الفرار وتبعوا أصحاب النبي المختار وملكوا خيامهم
وكان ذلك كله في الليل فلما أصبح الصباح فتح يوقنا
باب المدينة ودخل يزيد بن أبي سفيان وأخذ
أموال الروم ونادى من كان على السور الفوز الفوز
يعني الأمان الأمان فأمنهم ونزلوا فقال لهم
يزيد اعلموا أن الله عز وجل فتح مدينتكم هذه
عنوة وأنتم الآن عبيد لنا فما شئنا حكمنا فيكم
ونحن قوم إذا عهدنا وفينا وقد أعطيناكم الأمان

من أنفسنا ولكن نأخذ الجزية ممن لا يدخل في ديننا ومن
أسلم منكم فله ما لنا وعليه ما علينا فأجابوه إلى ذلك
وأسلم أكثرهم قال الواقدي وبلغ الخبر إلى
الملك قسطنطين بأن صور قد ملكتها العرب فعلم أن
ما بقا له مع العرب يد فأخذ خزاينه وذخايره وحريمه
وركب بهم في المراكب بالليل وأقبل يريد القسطنطينية
العظما فلما نظر أهل قيسارية إلى ذلك خافوا على
أنفسهم وخرجوا إلى عمرو بن العاصي وصالحوه على
تسليم المدينة وأقروا له مائة ألف درهم وكتب
لهم كتاب الصلح ودخل عمرو بن العاصي إلى قيسارية
وضرب الجزية عليهم أربعة دنانير وبعث ياسر بن
عوف إلى صور ومعه مائة من الصحابة قال حدثنا
زياد بن عامر قال حدثنا زياد بن عبد الله الغنوي
قال حدثنا سالم مولى عروة ابن نعيم اليشكري
قال لما فتح عمرو بن العاصي قيسارية صلحا على مائة

الف

وقف

ألف درهم من الفضة وكان دخوله إليها في يوم الأربعا
في العشر الأوسط من رجب سنة سبعة وعشرين من
الهجرة ولعمر بن الخطاب في الخلافة أربعة أعوام
ونصف قال الواقدي وبلغ الخبر إلى أهل الرملة
وعسقلان وغزة ونابلس وطبرية أن قسطنطين ابن
الملك هرب إلى القسطنطينية وأن العرب قد ملكوا
طرابلس وصور وقيسارية وأخذوا أموالهم وذخايرهم
فلما سمعوا بذلك أقبلوا إلى المسلمين وعقدوا معهم
الصلح وكذلك أهل جبلة واللادقية عقدوا مع
المسلمين صلحا ورد المسلمون إلى أبي عبيدة منصورين
وملك الله الشام والعراق والساحل إلى المسلمين
وذلك كله ببركة محمد صلى الله عليه وسلم
ورجع عمرو بن العاصي إلى أرض مصر بعشرة آلاف
فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا
ما انتهى إلينا من فتوح الشام على التمام والكمال

وقف الملك الاشرف قايتباي عز نصره

